Sirat Ibn Hisham Arabic

سيرت ابن هشام
المجلد اول
والمجلد الثاني

نداءِ ايمان

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

المجلد السادس

فهرس المجلد اول والثاني

المجلد الاول

ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين .

قال أبو محمد عبدالملك بن هشام النحوي : هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، واسم عبدالمطلب: شيبة بن هاشم واسم هاشم : عمرو بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة بن قصي واسم قصي :زيد بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ، واسم مدركة: عامر بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان بن أد ويقال: أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم – خليل الرحمن – بن تارح ، وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي – فيما يزعمون ، والله أعلم ،

وكان أول بني آدم أعطى النبوة ،وخط بالقلم – ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يأنس بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

قال أبو محمد عبدالملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي ، عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم – خليل الرحمن – ابن تارح ، وهو آزر بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قاين ابن أنوش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة

قال ابن هشام : وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من

هذا الكتاب ، ولا تفســـيرا لـه، ولا شـــاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضـها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ؛ ومســتقص إن شــاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به.

- سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام
- أولاد إسماعيل عليه السلام و نسب أمهم

قال ابن هشـــام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي قال:

ولد إســماعيل بن إبراهيم عليهما الســلام اثني عشــر رجلا : نابتا ، وكان أكبرهم ، وقيذر ، وأذبل ، ومبشـــا ،ومســـمعا، وماشـــى، ودما ،وأذر ،وطيما، ويطور، ونبش ، وقيذما . وأمهم رعلة بنت مضـــاض بن عمرو الجرهمي – قال ابن هشام : ويقال : مضاض . وجرهم بن قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسـبها – ابن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

قال ابن إســحاق : جرهم بن يقطن بن عيبربن شـــالخ . ويقطن هو قحطان ابن عيير بن شالخ .

عمر إسماعيل عليه السلام وموطن أمه ووفاته

قال ابن إسـحاق : : وكان عمر إسـماعيل فيما يذكرون مائة سـنة وثلاثين سنة ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ، ودفن في الحجر مع أمه هاجر، رحمهم الله تعالى .

▲ موطن هاجر

قال ابن هشـام : تقول العرب : هاجر وآجر فيبدلون الألف من الهاء كما قالوا : هراق الماء ، وأراق الماء وغيره . وهاجر من أهل مصر .

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها

قال ابن هشـام : حدثنا عبدالله بن وهب عن عبدالله بن لهيعة تعالى عمر مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال :الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السحم الجعاد ، فإن لهم نسبا وصـهرا .

قال عمر مولى غفرة : نسـبهم ، أن أم إسـماعيل النبي – صـلى الله عليه وسـلم – منهم . وصـهرهم ، أن رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم تسرر فيهم .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر من أم العرب ، قرية كانت أمام الفرما من مصـر . وأم إبراهيم : مارية سـرية النبي ، صـلى الله عليه وسلم ، التي أهداها له المقوقس من حفن من كورة أنصنا .

قال ابن إسـحاق : حدثني محمد بن مسـلم بن عبيد الله بن شـهاب الزهري أن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصـاري ، ثم السلمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما . فقلت لمحمد بن

مسلم الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم

▲ أصل العرب

قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان . وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل . ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحاق : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح ، عرب كلهم . فولد نابت بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجب: يعرب بن يشجب ، فولد يعرب : تيرح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور ، فولد مقوم : أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد.قال ابن هشام: ويقال : عدنان بن أد.

▲ أولاد عدنان

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

▲ موطن عك

قال ابن هشام : فصارت عك في دار اليمن ، وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة ، والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن

يشجب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويقال: أشــعر : نبت بن أدد ؛ ويقال : أشــعر : ابن مالك . ومالك: مذحج بن أدد بن زيد بن هميســع . ويقال : أشــعر : ابن ســبأ بن يشجب .

وأنشـــدني أبو محرز خلف الأحمر وأبو عبيدة ، لعباس بن مرداس ،أحد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تقلبوا * بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت في قصــيدة له . وغســان : ماء بســد مأرب باليمن،كان شربا لولد مازن بن الأسد بن الغوث فسموا به ؛ ويقال : غسان : ماء بالمشلل قريب من الجحفة ، والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن ابن الأســد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصاري – والأنصار بنو الأوس والخزرج – ، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث :

إما سألت فإنا معشر نجب * الأسد نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت في أبيات له.

فقالت اليمن : وبعض عك ، وهم الذين بخراســـــان منهم ، عك بن عدنان بن عبدالله بن الأســد بن الغوث؛ ويقال : عدثان بن الديث بن عبدالله بن الأسد بن الغوث .

▲ أولاد معد

قال ابن إســــحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقضـــــاعة بن معد ، وكان قضـــــاعة بكر معد الذي به يكنى فيما يزعمون، وقنص بن معد ، وإياد بن معد .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ – وكان اسم سبأ عبد شمس ، وإنما سمي سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب – ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

▲ قضاعة

قال ابن هشـــام : فقالت اليمن : وقضــــاعة : قضـــاعة بن مالك بن حمير. وقال عمرو بن مرة الجهني ، وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر * قضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قنص بن معد ،ونسب النعمان بن المنذر

قال ابن إســــحاق : : وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم – فيما يزعم نساب معد – وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

قال ابن إســـحاق : حدثني محمد بن مســـلم بن عبدالله بن شـــهاب الزهري: أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد .

قال ابن هشام : ويقال : قَنَص .

قال ابن إسحاق : : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن (شيخ من الأنصار من بني زريق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أُتي بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي - وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسلحه إياه ، ثم قال : ممن كان يا جبير ، النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لخم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أي ذلك كان .

▲ نسب لخم بن عدي

قال ابن هشام : لخم:ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال: لخم:ابن عدي بن عمرو بن سبأ ؛ ويقال: ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

▲ أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن - فيما حدثني أبو زيد الأنصاري - أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب ، الذي كان يحبس عليهم الماء ، فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء

للســـــد على ذلك ، فاعتزم على النقلة من اليمن ، فكادَ قومَه، فأمر أصـــغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ؛ فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصـــــغر ولدي، وعرض أمواله . فقال أشــراف من أشــراف اليمن : اغتنموا غضـــبة عمرو ، فاشــتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عـامر ، فبـاعوا أموالهم ، وخرجوا معـه، فســاروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سـجالا . ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا . ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان . فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشـــام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مَرّا، ونزلت أزد الســـراة الســـراة ، ونزلت أزد عمان عمان ، ثم أرســـل الله تعالى على الســـد الســـيل فهدمه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم:) لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشـمال ، كلوا من رزق ربكم واشـكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضـوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم(. والعرم : السد ، واحدته : عرمة ، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال الأعشـــى : أعشـــى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صــعب بن علي بن بكر بن وائل بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد .

قال ابن هشام : ويقال أفصى بن دعمي بن جديلة ؛ واسم الأعشى ،ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة :

وفي ذاك للمؤتسي أسوة * ومأرب عفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير * إذا جاء مواره لم يرم

فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم إذ قسم

فصاروا أيادي ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وهذه الأبيات في قصيدة له .

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي – واسم ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت في قصيدة له . وتروى للنابغة الجعدي ، واسمه قيس بن عبدالله أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وهو حديث طويل ، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

▲ حديث ربيعة بن نصر ملك اليمن ورؤياه ، وخبر شِقّ وسَطيح الكاهنين معه

▲ رؤيا ربيعة بن نصر

قال ابن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته ، وفظع بها فلم يدع كاهنا ، ولا ساحرا ؛ ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتني ، وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها ؛ قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ؛ قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

نسب سطيح وشق

واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان . وشق : ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار ، وأنمار أبو بجيلة وخثعم .

▲ نسب بجيلة

قال ابن هشام : وقالت : اليمن وبجيلة بنو أنمار : بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال: إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم يمانية .

▲ ربيعة بن نصر و سطيح

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصب تأويلها .

قال : أفعل ، رأيت حممه خرجت من ظلمه ، فوقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كل ذات جمجمه؛ فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فلتملكن ما بين أبين إلى جرش ؛ فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني هذا ، أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين، أكثر من ستين أوسبعين ، يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين؛ قال ، ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن ؛ قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟ قال : لا، بل ينقطع ؛ قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي من قبل العلي ؛ قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى أخر الدهر ؛ قال : وهل للدهر من أخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون ؛ قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ربيعة بن نصر و شق

ثم قدم عليه شــق ، فقال له كقوله لســطيح ، وكتمه ما قال ســطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ؛ فقال : نعم ، رأيت حممه، خرجت من ظلمه، فوقعت بين روضــة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسـمه 0 قال : فلما قال لـه ذلك ،وعرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن ســـطيحا قال : (وقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كل ذات جمجمه).
وقال شـق : (وقعت بين روضــة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسـمه).

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئا ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسـان ، لينزلن أرضـكم السـودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .
فقال له الملك : وأبيك يا شـــق ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كـائن؟ أفي زمـاني ، أم بعـده ؟ قـال : لا ، بـل بعـده بزمـان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان ؛ قال : ومن هذا العظيم الشـــان ؟ قال : غلام ليس بِدَنـيٍّ، ولا مُدَنٍّ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن ؛ قال : أفيدوم ســـلطانه ، أم ينقطع ؟ قال: بل ينقطع برسـول مرسـل يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضـــل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصـــل ؛ قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يســـمع منها الأحياء والأموات ، وُيجمع فيه بين النـاس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ؛ قال : أحق ما تقول

؟ قال : إي ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض.

قال ابن هشـــام : أمض : يعني شـــكًّا ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو: أمض أي باطل .

▲ هجرة ربيعة بن نصر إلى العراق

فوقع في نفس ربيعة بن نصـــــر ما قالا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصـــــلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرَّزاذ ، فأسكنهم الحيرة .

▲ رأي أخر في نسب النعمان بن المنذر

فمن بقية ولد ربيعة بن نصـــر النعمان بن المنذر ، فهو في نســـب اليمن وعلمهم النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشـــام : النعمان بن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرني خلف الأحمر.

▲ استيلاء أبي كرب تبان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسـحاق : فلما هلك ربيعة بن نصـر رجع ملك اليمن كله إلى حسـان بن تبان أسـعد أبي كرب وتبان أسـعد هو تبع الآخر ابن كلي كرب بن زيد ، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الريش – قال ابن هشـــام :ويقال الرائش – قال ابن إسـحاق : ابن عدي بن صـيفي بن سـبأ الأصـغر بن كعب ، كهف الظلم ، بن زيد بن سـهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشـم بن

عبد شــمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميســـع بن العرنجج ، والعرنجج : حمير بن ســـبأ الأكبر ابن يعرب بن يشجب بن قحطان .

قال ابن هشام : يشجب : ابن يعرب بن قحطان .

▲ شئ من سيرة تبان

قال ابن إســحاق : وتبان أســعد أبو كرب الذي قدم المدينة ، وســاق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكســـاه ، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر .

قال ابن هشام :وهو الذي يقال له :

ليت حظي من أبي كرب * أن يسد خيره خبله

▲ تبان يغضب على أهل المدينة و سبب ذلك

قال ابن إســحاق : وكان قد جعل طريقه – حين أقبل من المشـرق – على المدينة ، وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابنـا لـه ، فقتـل غيلـة . فقـدمهـا وهو مجمع لإخرابهـا ، واستئصـال أهلها ، وقطع نخلها ؛ فجمع له هذا الحي من الأنصـار ، ورئيســـهم عمرو ابن طلة أخو بني النجار ، ثم أحد بني عمرو بن مبذول ، واسم مبذول: عامر بن مالك بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

▲ عمرو بن طلة ونسبه

قال ابن هشـــــام :عمرو بن طلة : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار : وطلة أمه ، وهي بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبدالحارثة بن مالك بن غضـب بن جشـم بن الخزرج .

▲ قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة

قال ابن إســحاق : وقد كان رجل من بني عدي بن النجار ، يقال له أحمر، عدا على رجل من أصـــحاب تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده في عذق له يجُدُّهُ فضــربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره. فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم ، قال : فاقتتلوا . فتزعم الأنصـار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام .

▲ انصراف تبان عن إهلاك المدينة ، و شعر خالد في ذلك

فبينا تبع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بني قريظة – وقريظة والنضـير والنجَّام وعمرو ، وهو هدل ، بنو الخزرج بن الصـريح بن التوءمان بن السـبط بن اليسـع بن سـعد بن لاوي بن خير بن النجام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هارون بن عمران بن يصـــهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ، وهو إســرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ، صلى الله عليهم – عالمان راسخان في العلم ، حين سـمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها . فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ،

ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ؛ فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في أخر الزمان ، تكون داره وقراره ؛ فتناهى عن ذلك. ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سـمع منهما ، فانصـرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبدالعزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :

أصحا أم قد نهى ذكره * أم قضى من لذة وطرهْ

أم تذكرت الشباب وما * ذكرك الشباب أو عصره

إنها حرب رباعية * مثلها أتي الفتى عبره

فاسألا عمران أو أسدا * إذ أتت عدوا مع الزهرهْ

فيلق فيها أبو كرب * سبغ أبدانها ذفره

ثم قالوا : من نؤم بها * أبني عوف أم النجرهْ

بل بني النجار إن لنا * فيهم قتلى وإن تره

فتلقتهم مسايفة * مدها كالغيبة النثره

فيهم عمرو بن طلة ملى * الإله قومه عمره

سيد سامى الملوك ومن * رام عمرا لا يكن قدره

وهذا الحي من الأنصـــــار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال في شعره :

حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشـــام :الشـــعر الذي فيه هذا البيت مصـــنوع ، فذلك الذي منعنا من إثباته .

▲ تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة

قال ابن إسـحاق : وكان تبع وقومه أصـحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عسفان ، وأمج ، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضـر بن نزار بن معد ، فقالوا له: أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضـــة ؟ قال : بلى ؛ قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصـــلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده . فلما أجمع لما قالوا أرسـل إلى الحبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتا لله اتخذه في الأرض لنفســه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا ؛ قال : فماذا تأمرانني أن أصـــنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصـــنع عنده ما يصـــنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأســـك عنده ، وتذل له ، حتى تخرج من عنده؛ قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قال : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصـــبوها حوله ، وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شـرك – أو كما قالا له – فعرف نصـحهما وصـدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضـــى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ،

ونحر عنده، وحلق رأســه ، وأقام بمكة ســتة أيام – فيما يذكرون – ينحر بها للناس ، ويطعم أهلها ويسـقيهم العسـل ، ثم أري في المنام أن يكسو البيت أحسن من ذلك ، فكساه الخصف ؛ ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافر ؛ ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل ، فكان تبع – فيما يزعمون – أول من كسا البيت ، وأوصـى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاة، وهي المحايض ، وجعل له بأبا ومفتاحا ، وقالت سبيعة بنت الأحب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصـور بن عكرمة بن خصـفة بن قيس بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، لابن لها منه يقال له خالد ، تعظم عليه حرمة مكة ، وتنهاه عن البغي فيها ، وتذكر تبعا وتذلله لها ، وما صنع بها :

أبني لا تظلم بمكة * لا الصغير ولا الكبيرْ

واحفظ محارمها بني * ولا يغرنك الغرور

أبني من يظلم بمكة * يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه * ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها * فوجدت ظالمها يبور

الله أمنها وما * بنيت بعرصتها قصور

والله آمن طيرها * والعصم تأمن في ثبير

ولقد غزاها تبع * فكسا بنيتها الحبير

وأذل ربي ملكه * فيها فأوفى بالنذور

يمشي إليها حافيا * بفنائها ألفا بعير

ويظل يطعم أهلها * لحم المهاري والجزور

يسقيهم العسل المصفى * والرحيض من الشعير

والفيل أُهلك جيشه * يرمون فيها بالصخور

والملك في أقصى البلا * د وفي الأعاجم والخزير

فاسمع إذا حُدّثت وافهم * كيف عاقبة الأمور

قال ابن هشام :يوقف على قوافيها لا تعرب .

أصل اليهودية باليمن

ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال: سمعت إبراهيم بن

▲ محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث :

أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ؛ فقالوا : فحاكمنا إلى النار ؛ قال : نعم . قال وكانت باليمن – فيما يزعم أهل اليمن – نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها ، حتى

قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذمرهم من حضـرهم من الناس ، وأمروهم بالصـبر لها ، فصـبروا حتى غشـيتهم ، فأكلت الأوثان وما قربوا معهـا ، ومن حمـل ذلـك من رجـال حمير ، وخرج الحبران بمصـاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضـرهما فأصـفقت عند ذلك حمير على دينه ؛ فمن هنالك وعن ذلك كان أصـــل اليهودية باليمن .

قال ابن إســـحاق : وقد حدثني محدث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ؛ فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصـفقت عند ذلك حمير على دينهما ، والله أعلم أي ذلك كان .

▲ هدم البيت المسمى رئام

قال ابن إســـحاق : وكان رئام بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلمون منه إذ كانوا على شـــركهم . فقال الحبران لتبع : إنما هو شـــيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ؛ فاســـتخرجا منه – فيما يزعم أهل اليمن – كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم – كما ذكر لي – بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه .

▲ ملك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

سبب قتله

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبي كرب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق – قال ابن هشام :بالبحرين فيما ذكر لي بعض أهل العلم – كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخا له يقال له عمرو ، وكان معه في جيشه ، فقالوا له: اقتل أخاك حسان ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم . فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رعين الحميري ، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه، فقال ذو رعين :

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

فإما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الإله لذي رعين

ثم كتبهما في رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عَمْرا ، فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن ؛ فقال رجل من حمير :

لاه عينا الذي رأى مثل حسا * ن قتيلا في سالف الأحقاب

قتلته مقأول خشية الحبس * غداة قالوا : لباب لباب

ميتكم خيرنا وحيكم * رب علينا وكلكم أربابي

قال ابن إسحاق : وقوله لباب لباب : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير .

قال ابن هشام :ويروى : لباب لباب .

▲ هلاك عمرو وتفرق حمير

قال ابن إســـحاق : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به ؛ فقال لـه قائل منهم : إنـه والله ما قتل رجل قط أخاه ، أو ذا رَحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه ، إلا ذهب نومه ، وسـلط عليه السـهر . فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حســان من أشــراف اليمن ، حتى خلص إلى ذي رعين ، فقال لـه ذو رعين : إن لي عندك براءة؛ فقال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعت إليك ؛ فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

▲ خبر لخنيعة وذي نواس

▲ تولية الملك ، و شئ من سيرته ، ثم قتله

فوثـب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكـة ، يقـال لـه لخنيعة ينوف ذو شــناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ؛ فقال قائل من حمير للخنيعة :

تقتل أبناها وتنفي سراتها * وتبني بأيديها لها الذل حمير

تدمر دنياها بطيش حلومها * وما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذاك القرون قبل ذاك بظلمها * وإسرافها تأتي الشرور فتخسر

▲ فسوق لخنيعة

وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه في مشــربة له قد صــنعها لذلك ، لئلا

يملك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا فجعله في فيه ، أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه . حتى بعث إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان ، وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ، ذا هيئة وعقل ؛ فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكينا حديدا لطيفا ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ؛ فلما خلا معه وثب إليه ، فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ، ثم حز رأسه ، فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس ، أرطب أم يباس ، فقال : سل نخماس استرطبان ذو نواس . استرطبان لا باس – قال ابن هشام :هذا كلام حمير . ونخماس : الرأس – فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك : إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

▲ ملك ذي نواس

فملكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير ، وهو صاحب الأخدود ، وتسمى يوسف ، فأقام في ملكه زمانا .

▲ سبب وجود النصرانية بنجران

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل ، أهل فضل ، واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبدالله بن الثامر ، وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها

، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون – وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه ، فدانوا به .

▲ ابتداء وقوع النصرانية بنجران

فيميون و صالح و نشر النصرانية بنجران

قال ابن إســـحاق : حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيســـى بن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلا صـــالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا ، مجاب الدعوة وكان ســـائحا ينزل بين القرى ، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كســـب يديه ، وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي .

قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح ، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون : حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ، كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ، وفيميون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصـــلى ، فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين – الحية ذات الرءوس السبعة – فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فَعِيلَ عَوْلُهُ ، فصـــرخ يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ؛ فلم

يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى فانصرف . وعَرف أنه قد عُرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ؛ فقال له : يا فيميون : تعلم والله أني ما أحببت شيئا قط حبك ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح . وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي ، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته ؛ وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون فقيل له : إنه لا يأتي أحدا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر .

فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا ، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه ، فأشارطك عليه . فانطلق معه ، حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ؛ ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له . فدعا له فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عرف ، فخرج من القرية واتبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ؛ قال : نعم ؛ قال : ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء ، حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم علي ، فإني ميت الآن ؛ قال : فمات وقام عليه حتى واراه ، ثم

انصـــرف ، وتبعه صـــالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما .

فاختطفتهما ســـــيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد في كل ســنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حســن وجدوه ، وحليّ النســاء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوما .

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخر .

فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجد في بيت له – أسـكنه إياه سـيده – يصـلي ، اسـتسـرج له البيتُ نورا حتى يصـبح من غير مصـباح ؛ فرأى ذلك سـيده ، فأعجبه ما يرى منه ، فسـأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضـــر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له .

قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون ، فتطهر وصـلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها، فأرسـل الله عليها ريحا فجعفتها من أصـلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينـه ، فحملهم على الشـــريعة من دين عيســى بن مريم عليه السـلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصـرانية بنجران في أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران .

- خبر عبدالله بن الثامر ، و قصة أصحاب الأخدود
- فيميون و عبدالله بن الثامر واسم الله الأعظم

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها :

أن أهل نجران كانوا أهل شـــرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران – ونجران : القريـة العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد – سـاحر يعلم غلمان أهل نجران السـحر ، فلما نزلها فيميون – ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبه ، قالوا : رجل نزلها – ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث إليه الثامر ابنه عبدالله بن الثامر ، مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصـــاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صـــلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويســـمع منه ، حتى أســـلم ، فوحد الله وعبده ، وجعل يسـأله عن شـرائع الإسـلام ، حتى إذا فقه فيه جعل يسـأله عن الاســـم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال له: يا ابن أخي ، إنك لن تحمله ، أخشـــى عليك ضـــعفك عنه ، والثامر أبو عبدالله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى السـاحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدالله أن صـاحبه قد ضـن به عنه ، وتخوف ضـعفه فيه ، عمد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اســـما يعلمه إلا كتبه في قدح ، و لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقذفها فيها قدحا

قدحا، حتى إذا مر بالاســـــم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا ، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه ؛ فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ؛ قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صــنع ؛ قال : أَيِ ابنَ أخي ، قد أصــبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل .

عبدالله بن الثامر يدعو إلى التوحيد

فجعل عبدالله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضــر إلا قال يا عبدالله ، أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول : نعم ؛ فيوحد الله ويسلم ، ويدعو له فيشفى . حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه الله فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت علي أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين أبائي ، لأمثلن بك ؛ قال : لا تقدر على ذلك .

قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس ؛ وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحُور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس .

فلما غلبه قال له عبدالله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي فقتلتني . قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبدالله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانه؛ واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر ،

وكان على ما جاء به عيســـى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصـــابهم مثل ما أصـــاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسـحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي ، وبعض أهل نجران عن عبدالله بن الثامر ، والله أعلم أي ذلك كان .

▲ ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية

فســـار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل من قتل بالســـيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشـرين ألفا ، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسـوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :) قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (.

▲ تفسير الأخدود

قال ابن هشـــام :الأخدود : الحفر المســتطيل في الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد .

قال ذو الرمة ، واســـمه غيلان بن عقبة ، أحد بني عدي بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر :

من العراقية اللاتي يحيل لها * بين الفلاة وبين النخل أخدود

يعني جدولا . وهذا البيت في قصـيدة له . قال : ويقال لأثر السـيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه : أخدود ، وجمعه أخاديد .

▲ نهاية عبدالله بن الثامر

قال ابن إســحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبدالله بن الثامر ، رأسهم وإمامهم .

▲ ما يروى عن ابن الثامر في قبره

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث :

أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبدالله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا ، واضـعا يده على ضـربة في رأســه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : (ربي الله) فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضـــي الله عنه : أن أقروه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ، ففعلوا .

▲ أمر دوس ذي ثعلبان ، و ابتداء ملك الحبشـــة ، و ذكر أرياط المستولي على اليمن

▲ فرار دوس ذي ثعلبان من ذي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إســـحاق : وأفلت منهم رجل من ســبأ ، يقال له : دوس ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ؛ فمضـى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذي نواس وجنوده

، وأخبره بما بلغ منهم ؛ فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشي ينصر دوسا

فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ، ومعه في جنده أبرهة الأشرم ؛ فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان .

نهاية ذي نواس

وسار إليه ذو نواس في حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ؛ فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ، ثم ضربه فدخل به ، فخاض به ضحضاح البحر ، حتى أفضى به إلى غمره ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها .

شعر في دوس و ما كان منه

فقال رجل من أهل اليمن – وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

لا كدوس ولا كأعلاق رحله

فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذي جدن الحميري في هذه القصة

وقال ذو جدن الحميري :

هونكِ ليس يرد الدمع ما فاتا * لا تهلكي أسفا في إثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر * وبعد سلحين يبني الناس أبياتا
بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التي هدمها أرياط . ولم يكن في الناس مثلها .
وقال ذو جدن أيضا :
دعيني لا أبا لك لن تُطيقي * لحاك الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان إذ انتشينا * وإذ نُسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عارا * إذا لم يشكني فيها رفيقي
فإن الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء مع النشوق
ولا مترهب في أسطوان * يناطح جُدْره بيض الأنوق
وغمدان الذي حدثت عنه * بنوه مُسَمَّكا في رأس نِيق
بِمَنْهَمَةٍ وأسفله جرون * وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط تلوح فيه * إذا يمسي كتوماض البروق
ونخلته التي غُرست إليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغيرَّ حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا * وحذر قومه ضنك المضيق
قول ربيعة ابن الذئبة الثقفي في هذه القصة
وقال عبدالله ابن الذئبة الثقفي في ذلك . قال ابن هشام :الذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي:
لعمرك ما للفتى من مفر * مع الموت يلحقه والكبرْ

لعمرك ما للفتى صُحرة * لعمرك ما إنْ له من وزرْ

أبعد قبائل من حمير * أُبيدوا صباحا بذات العبر

بألفِ ألوفٍ وحُرَّابة * كمثل السماء قبيل المطر

يُصم صياحهم المقربات * وينفون من قاتلوا بالذفر

سَعَالِيَ مثل عديد الترا ب * تيبس منهم رطاب الشجر

قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في هذه القصة

وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي في شـــــيء كان بينه وبين قيس بن مكشـــــوح المرادي ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من ملكها عنها :

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأفضل عيشة ، أو ذو نُواسِ

وكائن كان قبلك من نعيم * وملك ثابت في الناس راسي

قديم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي

فأمسى أهله بادوا وأمسى * يحول من أناس في أناس

▲ نسب زبيد ومراد

قال ابن هشـام :زبيد بن سـلمة بن مازن بن منبه بن صـعب بن سـعد العشيرة بن مذحج ، ويقال : زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب بن سعد . ومراد : يحابر بن مذحج .

لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر ؟

قال ابن هشام :وحدثني أبو عبيدة ، قال :

كتب عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه إلى سـلمان بن ربيعة الباهلي ، و باهلةبن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو بأرمينية يأمره

أن يفضل أصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف في العطاء ؛ فعرض الخيل ، فمر به فرس عمرو بن معدي كرب ؛ فقال له سلمان : فرسك هذا مقرف ؛ فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجينا مثله ؛ فوثب إليه قيس فتوعده ؛ فقال عمرو هذه الأبيات .

▲ تصديق قول شق وسطيح

قال ابن هشـــام :فهذا الذي عنى ســـطيح الكاهن بقوله : (ليهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جرش) . والذي عنى شق الكاهن بقوله: (لينزلن أرضـــكم الســـودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ، و ليملكن ما بين أبين إلى نجران) .

غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن ، و قتل أرياط

▲ ما كان بين أرياط و أبرهة

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي – و كان في جنده – حتى تفرقت الحبشة عليهما .

فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا فابرز إلي وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أنصفت فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرا لحيما حادرا وكان ذا دين في النصـــرانية ؛ وخرج إليه أرياط ، وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفي يده حربة له . وخلف أبرهة غلام

له ، يقال له عتودة، يمنع ظهره . فرفع أرياط الحربة فضـرب أبرهة ، يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشـــرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمي أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصـــــرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، و وَدَى أبرهة أرياط .

غضب النجاشي على أبرهة لقتله أرياط ثم رضاؤه عنه

فلما بلغ النجاشي غضب غضبا شديدا وقال : عدا على أميري فقتله بغير أمري ، ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصــيته . فحلق أبرهة رأســـــه وملأ جرأبا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه :

أيها الملك : إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكلٌّ طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه ؛ وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضـي ، ليضـعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فيّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشــــي رضـــي عنه ، وكتب إليه : أنِ اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري . فأقام أبرهة باليمن .

- أمر الفيل ، و قصة النسأة
- بناء القليس أو كنيسة أبرهة

ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصــــنعاء ، فبنى كنيســـــة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك

أيها الملك كنيســـة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولســت بمنته حتى أصـــرف إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشـــي ، غضـــب رجل من النســـأة ، أحد بني فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

▲

معنى النسأة

والنســـأة : الذين كانوا ينســئون الشـــهور على العرب في الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى :) إنما النسيء زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله (.

المواطأة لغة

قال ابن هشـــــام : ليواطئوا : ليوافقوا : والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أي وافقتك عليه . والإيطاء في الشـــعر الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد ، وجنس واحد ، نحو قول العجَّاج – واسم العجاج عبدالله بن رؤبة أحد بني سـعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضـــــر بن نزار – :

في أُثعبان المَنْجَنونَ المرسلِ*

ثم قال :

مد الخليج في الخليج المرسل

وهذان البيتان في أرجوزة له .

▲

أول من ابتدع النسيء

قال ابن إســحاق : وكان أول من نســأ الشــهور علىالعرب ، فأحلت منها ما أحل ، وحرمت منها ما حرم القَلَمَّس ، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة .

ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد ، ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإســـلام ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم .

فإذا أراد أن يحل منها شـيئا أحل المحرم فأحلوه ، وحرم مكانه صـفر فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة الأشـهر الحرم . فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال : اللهم إني قد أحللت لك أحد الصـفرين ، الصـفر الأول ، ونســـأت الآخر للعام المقبل ، فقال في ذلك عمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لقد علمت معد أن قومي * كرام الناس أن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر * وأي الناس لم نعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما ؟

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم المحرم .

الكناني يحدث في القليس ، و حملة أبرهة على الكعبة

قال ابن إســـحاق : فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد فيها – قال ابن هشـــام :يعني أحدث فيها – قال ابن إســـحاق : ثم خرج فلحق بأرضـه ، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صـنع هذا ؟ فقيل له : صـنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : (أصرف إليها حج العرب) غضب فجاء فقعد فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل .

▲ خروج أبرهة لهدم الكعبة

فغضـــب عند ذلك أبرهة وحلف ليســـيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشـة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ؛ وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه وفظعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

▲ أشراف اليمن يدافعون عن البيت

فخرج إليه رجل من أشـــراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من ســـائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ؛ فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصـــحابه ، وأخذ له ذو نفر فأتي به أســـيرا ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك ،

لا تقتلني فإنه عســـى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي ؛ فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

▲ خثعم تجاهد أبرهة

ثم مضـــــى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج لـه ، حتى إذا كان بـأرض خثعم عرض لـه نفيل بن حبيب الخثعمي في قَبِيْلَيْ خثعم : شـــهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أســـيرا ، فأتي به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلَيْ خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

▲ ابن معتب و أبرهة

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مســـعود بن معتب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن ســعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف .

▲ نسب ثقيف و شعر ابن الصلت في ذلك

واسم ثقيف : قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قومي إياد لو أنهم أمم * أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم ساحة العراق إذا * ساروا جميعا والقط والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا :

فإما تسألي عني لُبينى * وعن نسبي أخبرك اليقينا

فإنا للنبيت أبي قسي * لمنصور بن يقدم الأقدمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية .

▲ ثقيف تهادن أبرهة

قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

▲ اللات

واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري :

وفرت ثقيف إلى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت في أبيات له .

▲ أبو رغال ورجم قبره

قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ؛ فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس .

▲ الأسود بن مقصود يهاجم مكة

فلما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلا من الحبشــة يقال له : الأســود بن مقصــود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فســاق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، وأصـــاب فيها مائتي بعير لعبدالمطلب بن هاشـم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ، ومن كان بذلك الحرم من ســـائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

▲ رسول أبرهة إلى مكة

وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشـــريفها ، ثم قال له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضــوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربي فأتني به .

فلما دخل حناطة مكة ، ســأل عن ســيد قريش وشــريفها ، فقيل له : عبدالمطلب بن هاشــم بن عبد مناف بن قصـــي ؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ؛ فقال لـه عبدالمطلب : والله ما نريد حربـه ، وما لنا بذلك من طـاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليلـه إبراهيم عليـه الســـلام – أو كما قال – فإنْ يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه ؛ فقال له حناطة : فانطلق معي إليه ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك .

▲ أنيس يشفع لعبدالمطلب

فانطلق معه عبدالمطلب ، ومعه بعض بنيه حتى أتى العسـكر ، فسـأل عن ذي نفر ، وكان له صـديقا ، حتى دخل عليه وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسـير بِيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندنا غناء في شيء مما نزل بك إلا أنّ أُنيسا سائس الفيل صديق لي ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يسـتأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدا لك و يشـفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ؛ فقال : حسبي .

فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فقال له : إن عبدالمطلب سـيد قريش ، وصـاحب عير مكة ، يطعم الناس بالسـهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصـاب له الملك مائتي بعير ، فاسـتأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ؛ فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سـيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس في السهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك في حاجته ، و أحسن إليه ، قال : فأذن له أبرهة .

▲ الإبل لي والبيت له رب يحميه

قال : وكان عبدالمطلب أوسـم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسـه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسـه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل

له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ؛فقال : حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي ؛ فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه ! قال له عبدالمطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ؛ قال : ما كان ليمتنع مني ؛ قال : أنت وذاك .

▲ الوفد المرافق لعبدالمطلب

وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ، قد ذهب مع عبدالمطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حناطة ، يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني بكر ، وخويلد بن واثلة الهذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ؛ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك أم لا . فرد أبرهة على عبدالمطلب الإبل التي أصاب له .

▲ قريش تستنصر الله على أبرهة

فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبدالمطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز في شعف الجبال والشعاب : تخوفا عليهم من معرة الجيش ، ثم قام عبدالمطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَّ إن العبد يمنع * رحله فامنع حلالكْ

لا يغلبنّ صليبهم * ومحالهم غدوا محالك

زاد الواقدي :

إن كنت تاركهم وقبلـ*تنا فأمر ما بدا لكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

شعر عكرمة بن عامر يدعو على الأسود بن مقصود

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي :

لاهُمَّ أخز الأسود بن مقصود * الآخذ الهجمة فيها التقليدْ

بين حراء وثبير فالبيد * يحبسها وهي أولات التطريد

فضمها إلى طماطم سود * أخفره يا رب وأنت محمود

قال ابن هشام :هذا ما صح له منها ؛ والطماطم : الأعلاج .

قال ابن إســحاق : ثم أرســل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شــعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

▲ أبرهة يهاجم الكعبة

فلما أصــبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله وعبىَّ جيشــه ، وكان اســم الفيل محمودا ؛ وأبرهة مجمع لهدم البيت ، ثم الانصــراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة ، أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنب الفيل ، ثم أخذه بأذنه ، فقال : ابرك محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه .

فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشـــتد حتى أصـــعد في الجبل ، وضـربوا الفيل ليقوم فأبى . فضـربوا في رأسـه بالطبرزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مراقِّه فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

▲

عقاب الله لأبرهة وجنده

فأرسـل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسـان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ،لا تصـيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت .وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسـألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام : قوله : (ليس الغالب) عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضا :

ألا حييت عنا يا ردينا * نعمناكم مع الإصباح عينا

أتانا قابس منكم عشاء فلم يقدر لقابسكم لدينا

ردينة لو رأيت – ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا

إذا لعذرتني وحمدت أمري * ولم تأسي على ما فات بينا

حمدت الله إذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تُلقى علينا

و كل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصـيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسـقط أنامله أُنمْلة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مدة تمثُّ قيحا ودما ، حتى قدموا به صـنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصـدع صـدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن إســـحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حُدث : أن أول ما رؤيت الحصـبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعُشر ذلك العام .

▲ الله جل جلاله يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضـــله ، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى :

) ألم تر كيف فعل ربك بأصـــحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضـليل . و أرسـل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سـجيل . فجعلهم كعصف مأكول (.

وقال :) لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشـتاء والصـيف . فليعبدوا رب هذا " البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (. أي لئلا يغير شـــيئا من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

▲ تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش

قال ابن هشـــــام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه . وأما الســـجيل : فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب .

قال رؤبة بن العجاج :

ومسهم ما مس أصحاب الفيلْ * ترميهم حجارة من سجيلْ

و لعبت طير بهم أبابيلْ *

وهذه الأبيات في أرجوزة له .

ذكر بعض المفسـرين أنهما كلمتان بالفارسـية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَـنْج و جِلّ ، يعني بالسـنج : الحجر ؛ وبالجل : الطين . يعني : الحجـارة من هذين الجنســـين : الحجر والطين . والعصــف : ورق الزرع الذي لم يقصــب ، وواحدته عصــفة . قال : وأخبرني أبو عبيدة النحوي أنه يقال له : العصافة والعصيفة .

وأنشــــدني لعلقمة بن عبدة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها * حدورها من أتيّ الماء مطموم

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيرِّوا مثل كعصف مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير في النحو .

وإيلاف قريش : إلفهم الخروج إلى الشــــام في تجارتهم ، وكانت لهم خرجتان : خرجة في الشـتاء ، وخرجة في الصـيف . أخبرني أبو زيد

الأنصاري ، أن العرب تقول : ألفت الشيء إلفا ، وآلفته إيلافا ، في معنى واحد . وأنشدني لذي الرمة :

من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في لونها يتوضح

وهذ البيت في قصيدة له . وقال مطرود بن كعب الخزاعي :

المنعمين إذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضا : أن يكون للإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكميت بن زيد ، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد :

بعام يقول له المؤلفو ن هذا المعيم لنا المرجل

وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن يصير القوم ألفا ، يقال : آلف القوم إيلافا . قال الكميت بن زيد ،أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد :

وآل مزيقياء غداة لاقوا * بني سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه و يلزمه ؛ يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصيرِّ ما دون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

▲

مصير قائد الفيل وسائسه

قال ابن إســـحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبدالرحمن ، بن سـعد بن زرارة ، عن عائشــة – رضــي الله عنها – قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسـائسـه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس .

▲ ما قيل في قصة الفيل من الشعر

▲ إعظام العرب قريشا بعد حادثة الفيل

قال ابن إســـحاق : فلما رد الله الحبشـــة عن مكة ، وأصـــابهم بما أصــابهم به من النقمة ، أعظمت العرب قريشـا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم . فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

▲ شعر عبدالله بن الزبعرى في وقعة الفيل

فقال عبدالله بن الزبعرى بن عدي بن قيس بن عدي بن ســـعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر :

تنكلوا عن بطن مكة إنها * كانت قديما لا يرام حريمها

لم تخلق الشعرى ليالي حرمت * إذ لا عزيز من الأنام يرومها

سائل أمير الجيش عنها ما رأى * ولسوف يُنبي الجاهلين عليمها

ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم * ولم يعش بعد الإياب سقيمها

كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

قال ابن إسحاق : يعني ابن الزبعرى بقوله :

. . . بعد الإياب ســـقيهما أبرهةَ ، إذ حملوه معهم حين أصــــابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

▲ شعر ابن الأسلت في وقعة الفيل

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي ، واسمه صيفي .

قال ابن هشام : أبو قيس : صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامرة بن مرة بن مالك بن الأوس :

ومن صنعه يوم فيل الحبُو ش * إذ كلما بعثوه رزمْ

محاجنهم تحت أقرابه * وقد شرموا أنفه فانخرم

وقد جعلوا سوطه مغولا * إذا يمموه قفاه كلم

فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم

فأرسل من فوقهم حاصبا * فلفهم مثل لف القزم

تحض على الصبر أحبارهم * وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبي الصلت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء مصدق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب

كتيبته بالسهل تمسي ورجله * على القاذفات في رءوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير عصائب

قال ابن هشام :أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

على القاذفات في رءوس المناقب

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله . وقوله : غداة أبي يكسوم : يعني أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

▲ شعر طالب بن أبي طالب في وقعة الفيل

قال ابن إسحاق : وقال طالب بن أبي طالب بن عبدالمطلب :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * وجيش أبي يكســـوم إذ ملئوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره * لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

▲ شعر أبي الصلت الثقفي في وقعة الفيل

قال ابن إســحاق : وقال أبو الصــلت بن أبي ربيعة الثقفي في شــأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

إن آيات ربنا ثاقبات * لا يماري فيهن إلا الكفورُ

خلق الليل والنهار فكل * مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهاة شعاعها منشور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

لازما حلقة الجران كما قطر * من صخر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطا ل * ملاويث في الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعرُّوا جميعا * كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عندالله * إلا دين الحنيفة بور

▲ شعر الفرزدق في وقعة الفيل

قال ابن هشـام : وقال الفرزدق – واسـمه همام بن أحد بني مجاشـع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم – يمدح سليمان بن عبدالملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه :

فلما طغى الحجاج حين طغى به * غنى قال إني مرتق في السلالم
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي * إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى * عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم * هباء وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله * إليه عظيم المشركين الأعاجم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

▲ شعر ابن قيس الرقيات في وقعة الفيل

قال ابن هشـــام : وقال عبدالله بن قيس الرقيات : أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة – وهو الأشرم – والفيلَ :

كاده الأشرم الذي جاء بالفيل * فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجندل * حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع وهو فل من الجيوش ذميم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

▲ ملك يكسوم ثم مسروق ولَدَيْ أبرهة على اليمن

قال ابن إســحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحبشــة ابنه يكســوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى ؛ فلما هلك يكســوم بن أبرهة ، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

▲ سيف بن ذي يزن يشكو لقيصر

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذي يزن الحميري ، وكان يكنى بأبي مرة ، حتى قدم على قيصـر ملك الروم ، فشـكا إليه ما هم فيه ، وســأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شـاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن فلم يشـكه و لم يجد عنده شـيئا مما يريد .

▲ النعمان يتشفع لسيف بن ذي يزن عند كسرى

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وفادة في كل عام ، فأقم حتى يكون ذلك ،ففعل ، ثم خرج معه ، فأدخله على كسرى .

وكان كســرى يجلس في إيوان مجلســه الذي فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل العظيم – فيما يزعمون – يضــرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسـه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يسـتر بالثياب حتى يجلس في مجلســه ذلك ، ثم يدخل رأســه في تاجه ، فإذا اسـتوى في

مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ؛ فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك .

▲ ابن ذي يزن بين يدي كسرى ،ومعاونة كسرى له

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علي من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطئ رأسه ؟ فقيل ذلك لسيف ؛ فقال : إنما فعلت هذا لهمي ، لأنه يضيق عنه كل شيء .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغربة ؛ فقال له كسرى : أي الأغربة : الحبشة أم السند فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرني ، ويكون ملك بلادي لك ؛ قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لي بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة . فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس ؛ فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة : يرغبه فيها . فجمع كسرى مرازبته ، فقال لهم : ماذا ترون في أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته . فبعث معه كسرى من كان في سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل .

▲ وهرز و سيف بن ذي يزن و انتصارهما على مسروق ، و ما قيل في ذلك من الشعر

واستعمل عليهم رجلا يقال له وهرز ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسبا وبيتا . فخرجوا في ثمان سفائن ، فغرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن . فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه ، وقال له : رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا .

قال له وهرز : أنصفت ، وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده . فأرسل إليهم وهرز ابنا له ، ليقاتلهم فيختبر قتالهم : فقتل ابن وهرز ، فزاده ذلك حنقا عليهم .

فلما تواقف الناس على مصافهم ، قال وهرز : أروني ملكهم ؛ فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوته حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ؛ فقال : اتركوه .

قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ؛ قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنتُ الحمار ذل وذل ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإني قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم وتر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه فعصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التي بين عينيه ،

فتغلغلت النشـابة في رأسـه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا ، فقتلوا وهربوا في كل وجه ؛ وأقبل وهرز ليدخل صنعاء ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتي منكسة أبدا ، اهدموا الباب ، فهدم ؛ ثم دخلها ناصبا رايته .

▲ شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة

فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

يظن الناس بالملكين * أنهما قد التأما

ومن يسمع بلأمهما * فإن الخطب قد فقما

قتلنا القيل مسروقا * وروينا الكثيب دما

وإن القيل قيل النا س * وهرز مقسم قسما

يذوق مشعشعا حتى * يفيء السبي والنعما

قال ابن هشـام : وهذه الأبيات في أبيات له . وأنشـدني خلاد بن قرة السـدوسـي آخرها بيتا لأعشـى بني قيس بن ثعلبة في قصـيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له .

▲ شعر أبي الصلت

قال ابن إسـحاق : وقال أبو الصـلت بن أبي ربيعة الثقفي – قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت – :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن * ريَّمَ في البحر للأعداء أحوالا

يمم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذي سالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببني الأحرار يحملهم * إنك عَمري لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
بيضا مرازبة غلبا أساورة * أُسدا تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط * بزمخر يعجل المرمى إعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا * في رأس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم * وأسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا
قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :
تلك المكارم لا قعبان من لبن*
فإنه للنابغة الجعدي . واسمه حبان بن عبدالله بن قيس ، أحد بني جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، في قصيدة له .

شعر عدي بن زيد

قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحيري ، وكان أحد بني تميم .
قال ابن هشام : ثم أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدي من العباد من أهل الحيرة :
ما بعد صنعاء كان يعمرها * ولاة ملك جزل مواهبها
رفعها من بني لدى قزع المزن * وتندى مسكا محاربها

محفوفة بالجبال دون عرى الكائد * ما ترتقى غواربها

يأنس فيها صوت النهام إذا * جاوبها بالعشي قاصبها

ساقت إليها الأسباب جند بني * الأحرار فرسانها مواكبها

وفوزت بالبغال توسق بالحتف * وتسعى بها توالبها

حتى رآها الأقوال من طرف ال مَنْقَل * مخضرة كتائبها

يوم ينادون آل بربر * واليكسوم لا يفلحن هاربها

وكان يوم باقي الحديث وزا لت * إمة ثابت مراتبها

وبدل الفيج بالزرافة والأيا م * جون جم عجائبها

بعد بني تبع نخاورة * قد اطمأنت بها مرزابها

قال ابن هشـــام : وهذه الأبيات في قصـــيدة له . وأنشـــدني أبو زيد الأنصاري ورواه لي عن المفضل الضبي ، قوله :

يوم ينادون آل بربر واليكسوم . . .الخ*

هزيمة الأحباش ، و نبوءة سطيح و شق

وهذا الذي عنى سطيح بقوله : (يليه إرم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن) .

والذي عنى شـــق بقوله : (غلام ليس بدني ولا مدنّ ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن) .

▲ ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

▲ مدة ملك الحبشة باليمن و ملوكهم

قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأُخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

▲ أمراء الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهرز ، فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المرزبان ، فأمَّر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمر كسرى ابن التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ؛ فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبي صلى الله عليه وسلم .

▲ محمد صلى الله عليه وسلم يتنبأ بموت كسرى

فبلغني عن الزهري أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه . فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف

لينظر ، وقال : إن كان نبيا فسـيكون ما قال . فقتل الله كسـرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشـام : قُتل على يدي ابنه شـيرويه ، وقال خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم * أني و لكل حاملة تمام

▲ إسلام باذان

قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسـلامه وإسـلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : أنتم منا وإلينا أهل البيت .

قال ابن هشـام : فبلغني عن الزهري أنه قال : فمن ثم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

▲ بعثة النبي ، و نبوءة سطيح و شق

قال ابن هشـام : فهوالذي عنى سـطيح بقوله : (نبى زكي ، يأتيه الوحي من قبل العلي) . والذي عني شق بقوله : (بل ينقطع برسول مرسـل ، يأتي بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضـل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل) .

▲ كتاب الحجر الذي وجد في اليمن

قال ابن إسـحاق : وكان في حَجَر باليمن – فيما يزعمون – كتاب بالزبور كتب في الزمان الأول : (لمن ملك ذمار ؟ لحمير الأخيار

؛ لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الأشرار ؛ لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار ؛ لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار) .

وذمار : اليمن أو صنعاء .

قال ابن هشام : ذمار : بالفتح ، فيما أخبرني يونس .

شعر الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح

قال ابن إسحاق : وقال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما صدق الذئبي إذْ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ، لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

▲ قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن جناد : أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر . والحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئ الفرات ، وهو الذي ذكر عدي بن زيد في قوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ * د جلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا * فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فبان * ال ملك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذي ذكره أبو دواد الإيادي في قوله :
وأرى الموت قد تدلى من الحضر * على رب أهله الساطرون
وهذا البيت في قصـــــيدة له . ويقال : إنها لخلف الأحمر ، ويقال : لحماد الراوية .
سـابور يسـتولي على الحضـر ، وزواجه بنت سـاطرون ، و ما وقع بينهما
وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر ، فحصره سـنتين ، فأشـرفت بنت سـاطرون يوما ، فنظرت إلى سـابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأســـه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدســـت إليه : أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضــر ؟ فقال : نعم ؛ فلما أمســى سـاطرون شـرب حتى سـكر ، وكان لا يبيت إلا سـكران . فأخذت مفاتيح باب الحضـــر من تحت رأسـه ، فبعثت بها مع مولى لها ، ففتح الباب ، فدخل سـابور ، فقتل ساطرون ، واستياح الحضر وخربه ، وسار بها معه فتزوجها . فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذْ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشـها ، فوجد عليه ورقة آس ؛ فقال لها سـابور : أهذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبســـني الحرير ، ويطعمني المخ ، ويســـقين الخمر ؛ قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت إلي بذلك أسرع ؛ ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها .

قول أعشى قيس في قصة الحضر

ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة :

ألم تر للحضر إذ أهله * بنعمى وهل خالد من نعم

أقام به شاهبور الجنو د * حولين تضرب فيه القدم

فلما دعا ربه دعوة * أناب إليه فلم ينتقم

وهذه الأبيات في قصيدة له .

قول عدي بن زيد

وقال عدي بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية * من فوقه أيد مناكبها

ربية لم توق والدها * لحينها إذ أضاع راقبها

إذ غبقته صهباء صافية * والخمر وهل يهيم شاربها

فأسلمت أهلها بليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها

فكان حظ العروس إذ جشر الصبح * دماء تجري سبائبها

وخرب الحضر واستبيح وقد * أُحرق في خدرها مشاجبها

وهذه الأبيات في قصيدة له .

▲ ذكر ولد نزار بن معد

أولاده في رأي ابن إسحاق و ابن هشام

قال ابن إســحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضــر بن نزار ، وربيعة ابن نزار ، وأنمار بن نزار .

قال ابن هشــام : وإياد بن نزار . قال الحارس بن دوس الإيادي ، ويروى لأبي داود الإيادي ، واسمه جارية بن الحجاج :

وفتوّ حسن أوجههم * من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت في أبيات له .

فأم مضـــر وإياد : ســـودة بنت عك بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار : شُقيقة بنت عك بن عدنان ، ويقال : جمعة بنت عك بن عدنان .

أولاد أنمار

قال ابن إســحاق : فأنمار : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبدالله البجلي وكان سيد بجيلة ، وهو الذي يقول له القائل :

لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى وبئست القبيلهْ

وهو ينافر الفرافصـــة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي بن عقال بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة :

يا أقرع بن حابس يا أقرع * إنك إن تصرع أخاك تصرع

و قال :

ابْنيَ نزار انصرا أخاكما * إن أبي وجدته أباكما

قال ابن هشـــام : فهوالذي عنى ســـطيح بقوله : (نبى زكي ، يأتيه الوحي من قبل العلي) . والذي عني شق بقوله : (بل ينقطع برسول مرسـل ، يأتي بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضـل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل) .

لن يُغلب اليوم أخ والأكما *

قال ابن إســـحاق : وكان في حَجَر باليمن – فيما يزعمون – كتاب بالزبور كتب في الزمان الأول : (لمن ملك ذمار ؟ لحمير الأخيار ؛

لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الأشرار ؛ لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار ؛ لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار) .

وقد تيامنت فلحقت باليمن .

قال ابن هشام : قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم : يمانية .

ولدا مضر

قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : إلياس بن مضر ، وعيلان بن مضر.

قال ابن هشام : وأمهما جرهمية .

أولاد إلياس

قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقمعة بن إلياس ، وأمهم خندف ، امرأة من اليمن .

شئ عن خندف و أولادها

قال ابن هشام : خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامرا ، واسم طابخة عمرا ؛ وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيدا فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر

بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشـأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ؛ وقال لعمرو : وأنت طابخة و خرجت أمهم لما بلغها الخبر ، و هي مسرعة ، فقال لها : تخندفين ، فسميت : خندف) .

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور *

وأما قمعة فيزعم نساب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس .

حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب

▲ عمرو بن لحي يجر قصبه في النار

قال ابن إســحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عمرو بن لحي يجر قصـبه في النار ، فسـألته عمن بيني وبينه من الناس ، فقال : هلكوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة – قال ابن هشام : واسم أبي هريرة : عبدالله بن عامر ، ويقال اسمه عبدالرحمن بن صخر – يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي : يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصـبه في النار ، فما رأيت رجلا أشـبه برجل منك به ، ولا بك منه ، فقال أكثم : عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو

كافر ، إنه كان أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي .

▲ أصل عبادة الأصنام في أرض العرب

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم :

أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشـــام في بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق – وهم ولد عملاق . ويقال عمليق بن لاوذ بن ســام بن نوح – رآهم يعبدون الأصــنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنسـتمطرها فُتمطرنا ، ونسـتنصـرها فتنصـرنا ؛ فقال لهم : أفلا تعطونني منها صــنما ، فأســير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صـــنما يقال له هُبَل ، فقدم به مكة ، فنصـــبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

▲ سبب عبادة الأصنام

قال ابن إســحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إســماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضـــاقت عليهم ، والتمســوا الفســح في البلاد ، إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ؛ حتى خلف الخلوف ، ونســوا ما كانوا عليه ، واســتبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصــاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضــــلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد

إبراهيم يتمســـــكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف بـه ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفـة والمزدلفة ، وهـدي البـدن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

فكـانـت كنـانـة وقريش إذا أهلوا قـالوا : (لبيـك اللهم لبيك ، لبيـك لا شـريك لك ، إلا شـريك هو لك ، تملكه وما ملك) .فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده .

يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صــــلى الله عليه وســـلم :) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشـــــركون (.أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي .

▲ أصنام قوم نوح

وقد كانت لقوم نوح أصـــنام قد عكفوا عليها ، قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقال :) وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا (.

▲ القبائل العربية وأصنامها ، و شئ عنها

فكان الذين اتخذوا تلك الأصـــنام من ولد إســـماعيل وغيرهم وســـموا بأســـمائهم حين فارقوا دين إســـماعيل : هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سواعا ، فكان لهم بُرهاط . وكلب بن وبرة من قضاعة ، اتخذوا ودا بدومة الجندل .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

وننسى اللات والعزى * ونسلبها القلائد والشنوفا

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله .

رأي ابن هشام في نسب كلب بن وبرة

قال ابن هشام : وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

▲ عباد يغوث

قال ابن إسحاق : وأنعم من طيىء ، وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش .

رأي ابن هشام في أنعم ، و في نسب طيئ

قال ابن هشام : ويقال : أنعم . وطيىء : ابن أدد بن مالك ، ومالك : مذحج بن أدد ، ويقال : طيىء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ .

▲ عباد يعوق

قال ابن إسحاق : وخَيوان بطن من همدان ، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نمط الهمداني :

يريش الله في الدنيا ويبرى * ولا يبري يعوق ولا يريش

وهذا البيت في أبيات له .

▲ همدان و نسبه

قال ابن هشام : اسم همدان : أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : أوسلة

بن زيد بن أوسلة بن الخيار . ويقال : همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

▲ عباد نسر

قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نسرا بأرض حمير .

▲ عباد عميانس

وكان لخولان صنم يقال له عميانس بأرض خولان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل في حق عميانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه .

وهم بطن من خولان ، يقال لهم الأديم ، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون :) وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون (.

▲ نسب خولان

قال ابن هشام :خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال : خولان بن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج .

▲ عباد سعد

قال ابن إســـحاق : وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم ، يقال له سعد ، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة . فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه ، التماس بركته ، فيما يزعم ؛ فلما رأته الإبل ، وكانت مرعية لا تركب ، وكان يُهراق عليه الدماء ، نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، وغضــب ربها الملكاني ، فأخذ حجرا فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفرت علي إبلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة * من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد

▲ دوس وصنمهم

وكان في دوس صنم لعمرو بن حمُمة الدوسي .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .

نسب دوس

و دوس : ابن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصــر بن الأســد بن الغوث . ويقال : دوس ابن عبدالله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

▲ عباد هبل

قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له : هبل .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه .

▲ إساف ونائلة

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما . وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم – هو إساف بن بغي ، ونائلة بنت ديك – فوقع إساف على نائلة في الكعبة ، فمسخهما الله حجرين .

▲ حديث عائشة عن إساف ونائلة

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا في الكعبة ، فمسخهما الله تعالى حجرين . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمفضى السيول من إساف ونائل

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

▲ فعل العرب مع أصنامهم

قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك أخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

فلما بعث الله رســوله محمدا صــلى الله عليه وســلم بالتوحيد ، قالت قريش : أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب .

▲ الطواغيت

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها ســدنة وحجاب ، وتهُدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها . وهي تعرف فضـل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

▲ العزى وسدنتها وحجابها

فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة ، وكان ســدنتها وحجابها بنو شيبان ، من سليم ، حلفاء بني هاشم .

قال ابن هشــام : حلفاء بني أبي طالب خاصــة ؛ وســليم : ســليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أُنكحت أسماء رأس بقيرة * من الأدم أهداها امرؤ من بني غنمِ

رأى قدعا في عينها إذ يسوقها * إلى غبغب العزى فوسَّع في القسم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم . والغبغب : المنحر ومهراق الدماء .

قال ابن هشــام : وهذان البيتان لأبي خراش الهذلي ، واســمه : خويلد بن مرة في أبيات له .

من هم السدنة

والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا ورب الآمنات القطن * يعمرن أمنا بالحرام المأمن

بمحبس الهدي وبيت المسدن*

وهذا البيتان في أرجوزة له ، وسأذكرها حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .

▲ اللات وسدنتها

قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجاجها بنو معتب من ثقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .

▲ مناة وسدنتها

قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد .

قال ابن هشام : وقال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تولي * مناة ظهورها متحرفينا

وهذا البيت في قصيدة له .

▲ هدم مناة

قال ابن هشام : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها . ويقال : علي بن أبي طالب .

ذو الخلصة وسدنته وهدمه

قال ابن إسحاق : وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .

قال ابن هشام :ويقال : ذو الخلصة . قال رجل من العرب :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا * مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا*

قال : وكان أبوه قتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات .ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندي . فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله البجلي فهدمه .

▲ فلس و سدنته و هدمه

قال ابن إسحاق : وكانت فلس لطيىء ومن يليها بجبلَيْ طيىء ، يعني سلمى وأجأ .

قال ابن هشام : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليها علي بن أبي طالب فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرسوب ، وللآخر : المخذم . فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له ، فهما سيفا علي رضي الله عنه .

▲ رئام

قال ابن إسحاق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رئام .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى .

رضاء وسدنته وهدمه

قال ابن إسحاق : وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :

ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

قال ابن هشام : قوله :

فتركتها قفرا بقاع أسحما

عن رجل من بني سعد .

عُمُر المستوغر

ويقال : إن المتسوغر عُمِّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها عمرا ، وهو الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مئتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يمر و ليلة تحدونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي .

ذو الكعبات وسدنته

قال ابن إسحاق : وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد ، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة :

بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات من سنداد

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي . نهشل بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، في قصيدة له . وأنشدنيه أبو محرز خلف الأحمر :

أهل الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الشرفات من سنداد

▲ أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

رأي ابن إسحاق فيها

قال ابن إسحاق : فأما البحيرة فهي بنت السائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سِيْبَت فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ؛ فما نُتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أذنها ، ثم خلي سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها ، فهي البحيرة بنت السائبة .

والوصيلة : الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء فيشتركوا في أكله ، ذكورهم وإناثهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

قال ابن إسحاق : والحامي : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمي ظهره فلم يركب ، ولم يجز وبره ، وخلي في إبله يضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك .

ابن هشام يخالف ابن إسحاق

قال ابن هشـــــام : وهذا كله عند العرب على غير هذا إلا الحامي ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسـحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشـق إذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشـرب لبنها إلا ضـيف . أو يُتصدق به ، وتهُمل لآلهتهم .

والسـائبة : التي ينذر الرجل أن يُسيبها إن برىء من مرضـه ، أو إن أصـــاب أمرا يطلبه . فإذا كان أسـاب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا يُنتفع بها .

والوصـــيلة : التي تلد أمها اثنين في كل بطن ، فيجعل صـــاحبهما لآلهته الإناث منها ولنفسـه الذكور منها ، فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن ، فيقولون : وصلت أخاها . فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به .

قال ابن هشـــــام : حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره ، وروى بعض ما لم يرو بعض :

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنزل عليه :

) ما جعل الله من بحيرة ولا سـائبة ولا وصـيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون (.

وأنزل الله تعالى :

) وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصـــة لذكورنا ، ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيها شـركاء ، سـيجزيهم وصـفهم ، إنه حكيم عليم (.

وأنزل الله تعالى عليه :) قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (.

وأنزل عليه :) ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشـــتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبئوني بعلم إن كنتم صـــادقين ، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشـــتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شـــهداء إذ وصـــاكم الله بهذا ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا لِيُضل الناس بغير علم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين (.

▲ البحيرة والسائبة و الوصيلة والحامي لغة

قال ابن هشام :قال الشاعر :

حول الوصائل في شُريف حِقَّة * والحاميات ظهورها والسيب

وقال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المرباع قرقرة * هدر الديافي وسط الهجمة البحر

وهذا البيت في قصـــيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبحر . وجمع وصيلة : وصائل ووصل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسيَّب . وجمع حام الأكثر : حوم .

▲ عود إلى سياقة النسب

▲ نسب خزاعة

قال ابن إســـحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر ، من اليمن .

قال ابن هشـــام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حـارثـة بن امرىء القيس بن ثعلبـة بن مـازن بن الأســـد بن الغوث ؛ وخندف أمها ، فيما حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال خزاعة :بنو حارثة بن عمرو بن عامر ، وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها .

قال عون بن أيوب الأنصـــاري أحد بني عمرو بن ســواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا في خيول كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت * بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان في قصيدة له .

وقال أبو المطهر إسـماعيل بن رافع الأنصـاري ، أحد بنـي حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت * خزاعة دار الآكل المتحامل

فحلت أكاريسا وشتت قنابلا * على كل حي بين نجد وساحل

نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعي شديد الكواهل

قال ابن هشـام : وهذه الأبيات في قصـيدة له ، وأنا إن شـاء الله أذكر نفيها جرهما في موضعه .

▲ أولاد مدركة وخزيمة

قال ابن إسـحاق : فولد مدركة بن إلياس رجلين : خزيمة بن مدركة ، وهُذيل بن مدركة ؛ وأمهما امرأة من قضـاعة . فولد خزيمة بن مدركة

أربعة نفر : كنانة بن خزيمة ، وأسـد بن خزيمة ، وأسـدة بن خزيمة ، والهُون بن خزيمة ، فأم كنانة عوانة بنت ســـعد بن قيس عيلان بن مضر .

قال ابن هشام : ويقال الهَون بن خزيمة .

▲ أولاد كنانة وأمهاتهم

قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضـر بن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، وملكان بن كنانة . فأم النضـر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضـر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشـام : أم النضـر ومالك وملكان : برة بنت مر ؛ وأم عبد مناة : هالة بنت ســويد بن الغطريف من أزد شـنوءة . وشـنوءة : عبدالله بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نضـر بن الأسد بن الغوث ، وإنما سموا شنوءة ، لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

▲ من يطلق عليه لقب قرشي

قال ابن هشـام : النضـر : قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشـي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشـي . قال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشـام بن عبدالملك بن مروان :

فما الأم التي ولدت قريشا * بمقرفة النجار ولا عقيم

وما قرم بأنجب من أبيكم * وما خال بأكرم من تميم

يعني برة بنت مر أخت تميم بن مر ، أم النضـر . وهذان البيتان في قصيدة له .

لماذا سميت قريش باسمها

ويقال فهر بن مالك : قريش فمن كان من ولده فهو قرشـي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشـي . وإنما سميت قريش قريشا من التقرش ، والتقرش : التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العجاج :

قد كان يغنيهم عن الشغوش * والخشل من تساقط القروش

شحم ومحض ليس بالمغشوش*

قال ابن هشـام : والشـغوش : قمح ، يسـمى الشـغوش . والخشـل : رءوس الخلأخيل والأسـورة ونحوه . والقروش : التجارة والاكتسـاب . يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شـحم ومحض ، والمحض : اللبن الحليب الخالص

وهذه الأبيات في أرجوزة له . وقال أبو جلدة اليشـكري ، ويشـكر بن بكر بن وائل :

إخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسـحاق : ويقال : إنما سميت قريش قريشـا لتجمعها من بعد تفرقها ، ويقال للتجمع : التقرش .

▲ أولاد النضر وأمهاتهم

فولد النضر بن كنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويخلد بن النضر ؛ فأم مالك : عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ولا أدري أهي أم يخلد أم لا .

قال ابن هشام : والصلت بن النضر - فيما قال أبو عمرو المدني - وأمهم جميعا بنت ســـعد بن ظرب العداوني . وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

قال كثير بن عبدالرحمن ، وهو كثير عزة أحد بني مليح بن عمرو ، من خزاعة :

أليس أبي بالصـــلت أم ليس إخوتي * لكل هجان من بني النضـــر أزهرا

رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بنا وبهم والحضرمي المخصرا

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا * أراكا بأذناب الفوائج أخضرا

قال : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذين يُعْزَوْن إلى الصـــلت بن النضـــر من خزاعة ، بنو مُلَيْح بن عمرو ، رهط كثير عزة .

أولاد مالك بن النضر وأمهاتهم

قال ابن إســحاق : فولد مالك بن النضـر فهر بن مالك ، وأمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض الجرهمي .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

▲ أولاد فهر و أمهاتهم

قال ابن إســـحاق : فولد فهر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر ، والحارث بن فهر ، وأســـد بن فهر ، وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشـــام : وجندلة بنت فهر ، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأمها ليلى بنت ســـعد . قال جرير بن عطية بن الخطفي – واســـم الخطفي حذيفة بن بدر بن ســـلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة – :

وإذا غضبت رمى ورائي بالحصى * أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت في قصيدة له .

▲ أولاد غالب وأمهاتهم

قال ابن إســحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤي بن غالب ، وتيم بن غالب ؛ وأمهما ســـلمى بنت عمرو الخزاعي . وتيم بن غالب : الذين يقال لهم بنو الأدرم .

قال ابن هشـام : وقيس بن غالب ، وأمه سـلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي ، وهي أم لؤي وتيم ابني غالب .

▲ أولاد لؤي وأمهاتهم

قال ابن إســـحاق : فولد لؤي بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤي ، وعامر بن لؤي ، وسامة بن لؤي ، وعوف بن لؤي ؛ فأم كعب وعامر وسامة : ماوية بنت كعب بن القين بن جسر ، من قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤي : وهم جشم بن الحارث ، في هزان من ربيعة .
قال جرير :
بني جشم لستم لهزان فانتموا * لأعلى الروابي من لؤي بن غالب
ولا تنكحوا في آل ضور نساءكم * ولا في شكيس بئس مثوى الغرائب
وسعد بن لؤي ، وهم بنانة : في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، من ربيعة .
وبنانة : حاضنة لهم من بني القين بن جسر بن شيع الله ، ويقال سيع الله ، ابن الأسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ويقال : بنت النمر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وخزيمة بن لؤي بن غالب ، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة . وعائذة : امرأة من اليمن ، وهي أم بني عبيد بن خزيمة بن لؤي .
وأم بني لؤي كلهم إلا عامر بن لؤي : ماوية بنت كعب بن القين بن جسر . وأم عامر بن لؤي : مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ؛ ويقال : ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر .
أمر سامة بن لؤي
هروبه من أخيه وموته

قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤي فخرج إلى عمان ، وكان بها .
ويزعمون أن عامر بن لؤي أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شيء ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان .
فيزعمون أن سامة بن لؤي بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

عين فابكي لسامة بن لؤي * علقت ساق سامة العلاقه
لا أرى مثل سامة بن لؤي * يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلغا عامرا وكعبا رسولا * أن نفسي إليهما مشتاقه
إن تكن في عمان داري فإني * غالبي ، خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا ابن لؤي * ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركت رديا * بعد جد وجدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لؤي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آلشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه

قال : أجل .

أمر عوف بن لؤي ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان

قال ابن إســـحاق : وأما عوف بن لؤي فإنه خرج – فيما يزعمون – في ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سـعد بن قيس بن عيلان ، أُبطىء به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه في نسب بني ذبيان – ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان – فحبسه . وزوجه والتاطه وأخاه . فشاع نسبه في بن ذبيان . وثعلبة – فيما يزعمون – الذي يقول لعوف حين أبطىء به فتركه قومه :

احبس علي ابن لؤي جملكْ * تركك القوم ولا منزل لكْ

مكانة مرة

قال ابن إسـحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حصين :

أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مدعيا حيا من العرب ، أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشــباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعني عوف بن لؤي .

▲ نسب مرة

قال ابن إسحاق : فهو في نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما ننكره وما نجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع – قال ابن هشـــام : أحد بني مرة بن عوف – حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش :

فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزراة الشعر الرقابا

وقومي ، إن سألت ، بنو لؤي * بمكة علموا مضر الضرابا

سفهنا باتباع بني بغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهة مخلف لما تروى * هراق الماء واتبع السرابا

فلو طووعت عمرك كنت فيهم * وما ألفيت أنتجع السحابا

وخش رواحة القرشي رحلي * بناجية ولم يطلب ثوابا

قال ابن هشام : هذا ما أنشدني أبو عبيد منها .

قال ابن إسحاق : فقال الحصين بن الحمام المري ، ثم أحد بني سهم بن مرة ، يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمي إلى غطفان :

ألا لستم منا ولسنا إليكم * برئنا إليكم من لؤي بن غالب

أقمنا على عز الحجاز وأنتم * بمعتلج البطحاء بين الأخاشب

يعني قريشـا . ثم ندم الحصـين على ما قال ، وعرف ما قال الحارث بن ظالم فانتمى إلى قريش وأكذب نفسه ، فقال :

ندمت على قول مضى كنت قلته * تبينت فيه أنه قول كاذب

فليت لساني كان نصفين منهما * بكيم ونصف عند مجرى الكواكب

أبونا كناني بمكة قبره * بمعتلج البطحاء بين الأخاشب

لنا الربع من بيت الحرام وراثة * وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أي أن بني لؤي كانوا أربعة : كعبا ، وعامرا ،وسامة ،وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم :

أن عمر بن الخطاب رضـــــي الله عنه قال لرجال من بني مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا اليه .

▲ أشراف مرة

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا في غطفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هرم بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة ، وخارجة بن سـنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف ، والحصـين بن الحمام ، وهاشم بن حرملة الذي يقول له القائل :

أحيا أباه هاشم بن حرملةْ * يوم الهباآت ويوم اليعملةْ

ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

هاشم بن حرملة ، و عامر الخصفي

قال ابن هشـــام : أنشـدني أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصـفي ، خصفة بن قيس بن عيلان :

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباآت ويوم اليعمله

ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

ورمحه للوالدات متكلهْ*

قال ابن هشــــام : وحدثني أن هاشــــما قال لعامر : قل في بيتا جيدا أثبك عليه ؛ فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشـــــما : ثم قال الثاني ، فلم يعجبه ،؛ ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ؛ فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له*

أعجبه ، فأثابه عليه .

قال ابن هشام : وذلك الذي أراد الكميت بن زيد في قوله :

وهاشم مرة المفني ملوكا * بلا ذنب إليه ومذنبينا

وهذا البيت في قصـــــيدة له . وقول عامر يوم الهباآت عن غير أبي عبيدة .

▲ مرة و البسل

قال ابن إســـحاق : قوم لهم صـــيت وذكر في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْل .

أمر البسل

تعريف البسل

والبســل – فيما يزعمون – نســيئهم ثمانية أشــهر حرم ، لهم من كل ســنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا .

قال زهير بن أبي سلمى ، يعني بني مرة :

نسب زهير بن أبي سلمى

–قال ابن هشــام : زهير أحد بني مزينة بن أد بن طابخة بن اليا س بن مضــر ، ويقال زهير بن أبي ســلمى من غطفان ، ويقال : حليف في غطفان–

تأمل فإن تقو المروراة منهم * وداراتها لا تقو منهم إذا نخل

بلاد بها نادمتهم وألفتهم * فإن تقويا منهم فإنهم بسل

أي حرام ، يقول : ساروا في حرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أجارتكم بسل علينا محرم * وجارتنا حل لكم وحليلها

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

▲ أولاد كعب وأمهم

قال ابن إســــحاق : فولد كعب بن لؤي ثلاثة نفر : مرة بن كعب ، وعدي بن كعب ، وهصيص بن كعب . وأمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر .

▲ أولاد مرة وأمهاتهم

فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة بن مرة .

فأم كلاب : هند بنت ســــرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأســـد من اليمن . ويقال : هي أم تيم . ويقال : تيم لهند بنت سرير أم كلاب .

▲ نسب بارق

قال ابن هشـــام : بارق : بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأســـد بن الغوث ، وهم في شنوءة . قال الكميت بن زيد :

وأزد شتوءة اندرءوا علينا * بجم يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق قد أسأتم * وما قلنا لبارق أعتبونا

قال : وهذان البيتان في قصـيدة له . وإنما سـموا ببارق ، لأنهم تبعوا البرق .

▲ ولدا كلاب وأمهما

قال ابن إســـحاق : فولدكلاب بن مرة رجلين : قصــــي بن كلاب ، وزهرة بن كلاب . وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بنى الجدرة ، من جعثمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء في بنى الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة .

▲ نسب جعثمة

قال ابن هشـام : ويقال : جعثمة الأسـد ،وجعثمة الأزد ؛ وهو جعثمة بن يشـكر بن مبشـر بن صـعب بن دهمان بن نصـر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصـر بن الأسـد بن الغوث ، ويقال : جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث .

وإنما ســـموا الجدرة ، لأن عـامر بن عمرو بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي ، وكانت جرهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جدارا ، فسـمى عامر بذلك الجادر ؛ فقيل لولده : الجدرة لذلك .

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصا واحدا * من علمناه كسعد بن سيلْ

فارسا أضبط فيه عسرة * وإذا ما واقف القرن نزل

فارسا يستدرج الخيل كما استدرج * الحر القطامي الحجل

قال ابن إسحاق : قوله : (كما استدرج الحر) عن بعض أهل العلم بالشعر .

▲ نعم بنت كلاب وأمها ووالداها

قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب ، وهي أم سعد وسُعيد ابني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل .

▲ أولاد قصي وأمهم

قال ابن إسحاق : فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصي ، وعبدالدار بن قصي ، وعبدالعزى بن قصي ، وعبد قصي بن قصي ، وتخمر بنت قصي ، وبرة بنت قصي ، وأمهم : حُبيّ بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : ويقال : حبشية بن سلول .

▲ أولاد عبد مناف وأمهاتهم

قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف – واسمه المغيرة بن قصي – أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية ، مازن بن منصور بن عكرمة .

▲ نسب عتبة بن غزوان

قال ابن هشـــام : فبهذا النســـب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

عود إلى أولاد عبد مناف

قال ابن هشـام : وأبو عمرو ، وتماضـر ، وقلابة ، وحية ، وريطة ، وأم الأختم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : ريطة ، امرأة من ثقيف ؛ وأم سـائر النسـاء : عاتكة بنت مرة بن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ؛ وأمها صفية بنت حوزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ؛ وأم صفية : بنت عائذ الله بن سعد العشيرة بن مذحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم

قال ابن هشـام : فولد هاشـم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمسـة نسـوة : عبدالمطلب بن هاشـم ، وأسـد بن هاشـم ، وأبا صـيفي بن هاشـم ، ونضلة بن هاشم ، والشفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورقية ، وحية . فأم عبدالمطلب ورقية : ســـلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . واسم النجار : تيم الله بن ثعلبـة بن عمرو بن الخزرج بن حـارثـة بن ثعلبـة بن عمرو بن عامر .

وأمها : عميرة بنت صـــخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عميرة : سلمى بنت عبدالأشهل النجارية .

وأم أسد : قيلة بنت عامر بن مالك الخزاعي .

وأم أبي صيفي وحية : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية .
وأم نضلة والشفاء : امرأة من قضاعة .
وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدي المازنية .

▲ أولاد عبدالمطلب بن هاشم

أولاد عبدالمطلب وامهاتهم

قال ابن هشام : فولد عبدالمطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة : العباس ، وحمزة ، وعبدالله ، وأبا طالب – واسمه عبد مناف – والزبير ، والحارث ، وحجلا ، والمقوم ، وضرارا ، وأبا لهب – واسمه عبدالعزى – وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى ، و برة .

فأم العباس وضرار : نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر – وهو الضحيان – بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ويقال : أفصى بن دعمي بن جديلة .

وأم حمزة والمقوم وحجل ، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره ، وسعة ماله ، وصفية : هالة بنت وهيب بن عبد مناة بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي .

وأم عبدالله ، وأبي طالب ، والزبير ، وجميع النســاء غير صــفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأمها : صـــخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبدالمطلب : سـمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سـواءة بن عامر بن صـعصـعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبي لهب : لُبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

▲ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتها

قال ابن هشام : فولد عبدالله بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسـلم سـيد ولد آدم ، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، صـلوات الله وسلامة ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأمها : برة بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصـــي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم .

- حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- احتفار زمزم

قال : حدثنا أبو محمد عبدالملك بن هشـــــام قال : وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنا به زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي : بينما عبدالمطلب بن هاشم نائم في الحجر ، إذ أتي فأمر بحفر زمزم ، وهي دفن بين صـــــنمي قريش : إســـاف ونائلة ، عند منحر قريش . وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة ، وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، التي سقاه الله حين ظمىء وهو صغير ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك .

وبعث الله تعالى جبريل عليه الســـلام ، فهمز له بعقبه في الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه ، فجاءت تشتد نحوه ، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب ، فجعلته حِسْيا .

أمر جرهم ودفن زمزم

▲ ولاة البيت من ولد إسماعيل

قال ابن هشـــــام : وكان من حديث جرهم ، ودفنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبدالمطلب زمزم ، ما حدثنا به زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسـحاق المطلبي ، قال :

لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه ، ثم ولي البيت بعده مُضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الجرهمي .

بغي جرهم و قطوراء ، و ما كان بينهما

قال ابن إسـحاق : وبنو إسـماعيل وبنو نابت مع جدهم مضـاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم . وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكـة ، وهما ابنا عم ، وكانا ظعنا من اليمن ، فأقبلا سيارة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء الســـميدع ، رجل منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم .

فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشـــــجر ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقعيقعان فما حاز . ونزل الســـــميدع بقطوراء ، أســـــفل مكة بأجياد فما حاز . فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أســـــفلها ، وكل في قومه لا يدخل واحد منهما على

صاحبه . ثم إن جرهم وقطوراء ، بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مضـــاض يومئذ بنو إســـماعيل وبنو نابت ، وإليه ولاية البيت دون الســـميدع ، فصـــار بعضـــهم إلى بعض ، فخرج مضـاض بن عمرو بن قعيقعان في كتيبته سائرا إلى السميدع ، ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب ، يُقعقع بذلك معه ، فيقال : ما سمي قُعَيْقعان بقعيقعان إلا لذلك .

وخرج الســـميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما ســـمي أجياد أجيادا إلا لخروج الجياد من الخيل مع الســـميدع منه . فالتقوا بفاضـح ، واقتتلوا قتالا شـديدا ، فقُتل السميدع ، وفضـحت قطوراء . فيقال : ما سمي فاضح فاضحا إلا لذلك .

ثم إن القوم تداعوا إلى الصـلح ، فسـاورا حتى نزلوا المطابخ : شـعبا بأعلى مكة ، واصـطلحوا به ، وأسـلموا الأمر إلى مضـاض . فلما جمع إليه أمر مكة فصـــار ملكها له ، نحر للناس فأطعمهم ، فاطَّبخ الناس وأكلوا ، فيقال : ما سميت المطابخ المطابخ إلا لذلك . وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما ســـميت المطابخ ، لما كان تُبَّع نحر بها وأطعم ، وكان منزله . فكان الذي كان بين مضـاض والسـميدع أول بغي كان بمكة فيما يزعمون .

انتشار ولد إسماعيل و جرهم بمكة

ثم نشـــر الله ولد إســـماعيل بمكة ، وأخوالهم من جرهم ، ولاة البيت والحكام بمكة ، لا ينازعهم ولد إسـماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال . فلما ضـــاقت مكة على

ولد إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم .

▲ استيلاء قوم كنانة و خزاعة على البيت و بغي جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما

ثم إن جرهما بغوا بمكة ، واستحلوا خلالا من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ، وفرق أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة .

وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى النَّاسَّة ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فقال : إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبكّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

▲ معنى بكة لغة

قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ، لأنهم يتباكون فيها ، أي يزدحمون . وأنشدني :

إذا الشريب أخذته أكَّه * فخله حتى يبكّ بكَّه

أي فدعه حتى يبك إبله ، أي يخليها إلى الماء فتزدحم عليه . وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إســحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مضــاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن ، فدفنها في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا . فقال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض في ذلك ، وليس بمضاض الأكبر :

وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما * يلجلجه بن الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا * فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته * فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فإن تنثن الدنيا علينا بحالها * فإن لها حالا وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم * أذا العرش : لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة * إذا خرجت منه فليست تغادر

قال ابن هشام : (فأبناؤه منا) ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان ، وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم * أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطي وأرخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا

كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشـــام : هذا ما يصـــح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشـــعر : أن هذه الأبيات أول شـــعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ، ولم يسم لي قائلها .

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشـــاني ، وقريش إذ ذاك حلول وصـــرم ، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم حليل بن حَبَشِيّة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِية بن سلول .

تزوج قصي بن كلاب حُبىَّ بنت حليل

أولاد قصي وحبي

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبى ، فرغب فيه حُليل فزوجه ، فولدت له عبدالدار ، وعبد

مناف ، وعبدالعزى ، وعبدا . فلما انتشـــر ولد قصـــي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

▲

مساعدة رزاح لقصي في تولي أمر البيت

فرأى قصــــــي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشــا قُرعة إســماعيل بن إبراهيم وصــريح ولده ؛ فكلم رجالا من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه .

وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعدما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت ســـــعد بن ســـــيل ، وزهرة يومئذ رجل ، وقصــي فطيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قصــيا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رزاحا . فلما بلغ قصــي وصــار رجلا أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه .

فخرج رزاح بن ربيعــة ومعــه إخوتــه : حن بن ربيعــة ، ومحمود بن ربيعة ، وجلهمة بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب ، وهم مجمعون لنصرة قصي .

وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشــية أوصـــى بذلك قصــيا وأمره به حين انتشـــر له من ابنته من الولد ما انتشـــر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعة ؛ فعند ذلك طلب قصـــــــي ما طلب . ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أي ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ؛ وكان يقال له ولولده صُوفة .

وإنما ولي ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلا أن تصـــدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ، ويقوم عليها . فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولي الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا .

فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه :

إني جعلت رب من بَنيَّه * ربيطة بمكة العليَّه

فباركن لي بها أليَّه * واجعله لي من صالح البريَّه

وكان الغوث بن مر – فيما زعموا – إذا دفع بالناس قال :

لاهُمَّ إني تابع تَباعه * إن كان إثم فعلى قُضاعه

صوفة ورمي بالجمار

قال ابن إســـحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال :

كانت صـوفة بالناس من عرفة ، وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمي للناس ، لا

يرمون حتى يرمي . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك ؛ فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس . فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك ! قم فارم ؛ فيأبى عليهم . حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه .

▲ تولي بني سعد أمر البيت بعد صوفة

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزي صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجنة .

▲ نسب صفوان بن جناب

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

▲ صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام ، كرب بن صفوان ، وقال أوس ابن تميم بن مغراء السعدي :

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء .

▲ ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

ذو الإصبع يذكر هذه الإفاضة

وأما قول ذي الإصـــبع العدواني ، واســـمه حرثان (من عدوان) ابن عمرو ؛ وإنما سمي ذا الإصبع لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذير الحي من عدوا ن * كانوا حية الأرضِ

بغي بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض

ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض

ومنهم من يجيز النا س * بالسنة والفرض

ومنهم حكم يقضي * فلا ينقض ما يقضي

أبو سيارة يفيض بالناس

–وهذه الأبيات في قصـــيدة له – فلأن الإفاضـــة من المزدلفة كانت في عـداون – فيمـا حـدثني زيـاد بن عبـدالله البكـائي عن محمـد بن إســـحاق – يتوارثون ذلك كابرا عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة ، عميلة بن الأعزل .

ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبي سيارهْ * وعن مواليه بني فزاره

حتى أجاز سالما حماره * مستقبل القبلة يدعو جاره

قال : وكان أبو ســـــيارة يدفع بالناس على أتان له ، فلذلك يقول : (سالما حماره) .

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب

قال ابن إســحاق : وقوله (حكم يقضــي) يعني عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشــكر بن عدوان العدواني . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضـلة في قضـاء إلا أسـندوا ذلك إليه ثم رضـوا بما قضى فيه .

فاختصـم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه ، في رجل خنثى ، له ما للرجل ولـه ما للمرأة ، فقالوا : أتجعلـه رجلا أو امرأة ؟ ولم يـأتوه بأمر كان أعضـل منه . فقال : حتى أنظر في أمركم ، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه .

فبات ليلته سـاهرا ، يقلب أمره ، وينظر في شـأنه ، لا يتوجه له منه وجه . وكانت له جارية يقال لها سـخيلة ترعى عليه غنمه ، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول : صبحت والله يا سخيل ! وإذا أراحت عليه قال : مسـيت والله يا سـخيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السـرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس .

فلما رأت سـهره وقلة قراره على فراشـه قالت : ما لك لا أبا لك ! ما عراك في ليلتك هذه ؟ قال : ويلك ! دعيني ، أمر ليس من شـأنك ؛ ثم عادت له بمثل قولها .

فقال في نفسـه : عسـى أن تأتي مما أنا فيه بفرج ؛ فقال : ويحك ! اختصم إلي في ميراث خنثى ، أأجلعه رجلا أو امرأة ؟ فوالله ما أدرى ما أصـنع ، وما يتوجه لي فيه وجه . قال : فقالت : سـبحان الله ! لا أبا لك ! أتبع القضـاء المبال ، أقعده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مسِّـي

ســخيل بعدها أو صــبِّحي ، فرجتها والله . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذي أشارت عليه به .

غلب قصــــي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قصي يتغلب على صوفة

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفســـهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فأتاهم قصـــي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضـــاعة عند العقبة ، فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شـــديدا ، ثم انهزمت صـــوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك .

قصي يقاتل خزاعة وبني بكر و تحكيم يعمر بن عوف

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصـي ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صــوفة ، وأنه ســيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم ، و ثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة .

وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شـــديدا بالأبطح ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا ، ثم إنهم تداعوا إلى الصــــلح وإلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب ، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ فقضى بينهم بأن قصــيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصــابه

قصـي من خزاعة وبني بكر ، موضـوع يشـدخه تحت قدميه ، وأن ما أصـابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضـاعة ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلّى بين قصـي وبين الكعبة ومكة .

سبب تسمية يعمر بالشداخ

فسمي يعمر بن عوف يومئذ : الشداخ ، لما شدخ من الدماء ووضـع منها . قال ابن هشام : و يقال : الشُّداخ .

▲ قصـي يتولى أمر مكة ، و سبب تسميته مجمعا

قال ابن إسـحاق : فولى قصـي البيت وأمر مكة ، وجمع قومه في منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه . إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا في نفسـه لا ينبغي تغييره .

فأقر آل صـفوان وعدوان والنسـأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسـلام فهدم الله به ذلك كله . فكان قصـي أول بني كعب بن لؤي أصـاب ملكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ،والسقاية ،والرفادة ، والندوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله . وقطع مكة رباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصـبحوا عليها ، ويزعم الناس أن قريشـا هابوا قطع شـجر الحرم في منازلهم فقطعها قصـي بيده وأعوانه ، فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها ،ة وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشـاورون في أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن

تدرع من قريش إلا في داره ، يشـــق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها .

فكان أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد موته ، كالدين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضي أمورها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالملك بن راشد عن أبيه قال : سمعت السائب بن خبَّاب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب ، وهو خليفة ، حديث قصي بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه ، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ قصي من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح في إجابته قصيا :

لما أتى من قصي رسول * فقال الرسول أجيبوا الخليلا

نهضنا إليه نقود الجياد * ونطرح عنا الملول الثقيلا

نسير بها الليل حتى الصباح * ونكمي النهار لئلا تزولا

فهن سراع كورد القطا * يجبن بنا من قصي رسولا

جمعنا من السر من أشمذين * ومن كل حي جمعنا قبيلا

فيا لك حلبة ما ليلة * تزيد على الألف سيبا رسيلا

فلما مررن على عسجد * وأسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقان * وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحلِّ ما ذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا
ندنى من العوذ أفلاءها * إرادة أن يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا إلى مكة * أبحنا الرجال قبيلا قبيلا
نعاورهم ثم حد السيوف * و في كل أوب خلسنا العقولا
نخبزهم بصلاب النسو ر * خبز القوي العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة في دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا
نفيناهم من بلاد المليك * كما لا يحلون أرضا سهولا
فأصبح سبيهم في الحديد * ومن كل حي شفينا الغليلا
شعر ثعلبة القضاعي في هذه القصة
وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم القضاعي في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :
جلبنا الخيل مضمرة تغالى * من الأعراف أعراف الجناب
إلى غورى تهامة فالتقينا * من الفيفاء في قاع يباب
فأما صوفة الخنثى فخلوا * منازلهم محاذرة الضراب
وقام بنو علي إذ رأونا * إلى الأسياف كالإبل الطراب
شعر قصي
وقال قصي بن كلاب :
أنا ابن العاصمين بني لؤي * بمكة منزلي وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت

فلست لغالب إن لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت

رزاح ناضري وبه أسامى * فلست أخاف ضيما ما حييت

ما كان بين رزاح و بين نهد و حوتكة ، وشعر قصي في ذلك

فلما اســتقر رزاح بن ربيعة في بلاده ، نشــره الله ونشــر حُنًّا ، فهما قبيلا عذرة اليوم . وقد كان بين رزاح بن ربيعة ، حين قدم بلاده ، وبين نهد ابن زيد وحوتكة بن أسلم ، وهما بطنان من قضاعة ، شيء ؛ فأخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قضـــاعة ، فهم اليوم باليمن .

فقال قصـــي بن كلاب ، وكان يحب قضـــاعة ونماءها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رزاح من الرحم ، ولبلائهم عنده إذال أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رزاح :

ألا من مبلغ عنى رزاحا * فإني قد لحيتك في اثنتين

لحيتك في بني نهد بن زيد * كما فرقت بينهم وبيني

وحوتكة بن أسلم إن قوما * عنوهم بالمساءة قد عنوني

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي .

قصي يفضل عبدالدار على سائر ولده

قال ابن إسحاق : فلما كبر قصـي ورق عظمه ، وكان عبدالدار بكره ، وكان عبد مناف قد شـــرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب ، وعبدالعزى وعبد .

قال قصـــي لعبدالدار : أما والله يا بني لأُلْحِقَنَّك بالقوم ، وإن كانوا قد شـــرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك . فأعطاه داره دار الندوة ، التى لا تقضـــــي قريش أمرا من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

▲

الرفادة

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موســـم من أموالها إلى قصـــي بن كلاب ، فيصـــنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم يكن له ســعة ولا زاد . وذلك أن قصـــيا فرضـــه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : (يا معشــر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وإن الحاج ضـــيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضـــيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشــرابا أيام الحج ، حتى يصـــدروا عنكم ففعلوا . فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه ، فيصـــــنعه طعاما للناس أيام منى . فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإســلام ، ثم جرى في الإســلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج) .

قال ابن إســحاق : حدثني بهذا من أمر قصـــي بن كلاب ، وما قال لعبدالدار فيما دفع إليه مما كان بيده ، أبو إسـحاق بن يســار ، عن الحســـن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنهم قال : ســمعته يقول ذلك لرجل من بني عبدالدار ، يقال له : نبيه بن وهب بن عمر بن عكرمة بن عامر بن هاشـــم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي .

قال الحســـن : فيجعل إليه قصـــي كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصي لا يخالف ، ولا يرد عليه شيء صنعه .

▲ ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي ، وحلف المطيبين

▲ النزاع بين بني عبدالدار وبني أعمامهم

قال ابن إسـحاق : ثم إن قصــي بن كلاب هلك ، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختطوا مكة رباعا – بعد الذي كان قطع لقومـه بهـا – فكـانوا يقطعونهـا في قومهم وفي غيرهم من حلفـائهم ويبيعونهـا ؛ فـأقـامـت على ذلـك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصـي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبدالدار بن قصــي مما كان قصـي جعل إلى عبدالدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشـــرفهم عليهم وفضـــلهم في قومهم ؛ فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم حق بـه من بني عبـدالـدار لمكـانهم في قومهم ، وكـانـت

طائفة مع بني عبدالدار ، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصـي جعل إليهم .

▲ من ناصروا بني عبدالدار ، و من ناصروا بني أعمامهم

فكان صـاحب أمر بني عبد مناف عبد شـمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسـن بني عبد مناف ، وكان صـاحب أمر بني عبدالدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار .

▲ حلفاء بني عبدالدار وحلفاء بني أعمامهم

فكان بنو أسـد بن عبدالعزى بن قصـي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضـر ، مع بني عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جمح بن عمرو بن هصـيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب ، مع بني عبدالدار ، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسـلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة .

▲ من دخلوا في حلف المطيبين

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا . فيزعمون أن بعض نسـاء بني عبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فسموا المطيبين .

▲ من دخلوا في حلف الأحلاف

وتعاقد بنو عبدالدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا ، على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا الأحلاف .

▲ تقسيم القبائل في هذه الحرب

ثم سـوند بين القبائل ، ولُزّ بعضـها ببعض ؛ فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم ، وعبِّيت بنو أسد لبني عبدالدار ، وعبيت زهرة لبني جمح ، وعبيت بنو تيم لبني مخزوم ، وعبيت بنو الحارث بن فهر لبني عدي بن كعب . ثم قالوا : لتُفن كل قبيلة من أُسند إليها .

▲ تصالح القبائل

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصـلح ، على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبدالدار كما كانت . ففعلوا ورضـي كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسـلام ، فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : (ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة) .

▲ حلف الفضول

▲ سبب تسميته كذلك

قال ابن هشـام : وأما حلف الفضـول فحدثني زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسـحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سـعد

بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشـم ، وبنو المطلب ، وأسـد بن عبدالعزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة .

فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من ســـائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

▲

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول

قال ابن إسـحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه ســمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري يقول : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت .

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف

قال ابن إســـحاق : وحدثني يزيد بن عبدالله بن أســـامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه :

أنه كان بين الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان – والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي سـفيان رضــي الله عنه – منازعة في مال كان بينهما بذي المروة . فكان الوليد تحامل على الحسـين رضــي الله عنه في حقه لسلطانه ، فقال له الحسـين : أحلف بالله لتنصـفني من

حقي أو لآخذن سيفي ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعون بحلف الفضول .

قال : فقال عبدالله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين رضي الله عنه ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ، ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا .

قال : فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ، فقال مثل ذلك وبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك .

فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي .

سأل عبدالملك محمد بن جبير عن عبد شمس و بني نوفل و دخولهما في حلف الفضول ، فأخبره بخروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال :

قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف – وكان محمد بن جبير أعلم قريش – فدخل على عبدالملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبدالملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعني بني عبد شمس بن عبد مناف ، وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ؛ قال عبدالملك : لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك ؛ فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ! قال : صدقت .

تم خبر حلف الفضول

▲ هاشم يتولى الرفادة والسقاية و ما كان يصنع إذا قدم الحاج

قال ابن إسحاق : فولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة ، وكان مقلا ذا ولد ، وكان هاشم موسرا فكان – فيما يزعمون – إذا حضر الحاج قام في قريش فقال : (يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه) . فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم ، كل امرئ يقدر ما عنده ، فيصنع به للحجاج طعاما حتى يصدروا منها .

▲ أفضال هاشم على قومه

وكان هاشم فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه عمرا ؛ فما سمي هاشما إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه .

فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجافِ

سُنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

قوم بمكة مسنتين عجاف *

▲ المطلب يلي الرفادة والسقاية

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا ، فولي السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف في قومه وفضل ، وكانت قريش إنما تسميه الفيض لسماحته وفضله .

▲ زواج هاشم بن عبد مناف

وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار ، وكانت قبله عند أحيحه بن الجلاح بن الحريش .

قال ابن هشام : ويقال : الحريس – ابن جَحْجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

فولدت له عمرو بن أحيحة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلا فارقته .

▲ ميلاد عبدالمطلب و سبب تسميته باسمه

فولدت لهاشم عبدالمطلب ، فسمته شيبة . فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه ؛ فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ؛ فقال لها المطلب : إني غير منصرف حتى أخرج به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلي كثير من أمورهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال .

وقال شـيبة لعمه المطلب – فيما يزعمون – : لسـت بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذنت له ، ودفعته إليه ؛ فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبدالمطلب ابتاعه ، فبها سـمي شيبة عبدالمطلب . فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخي هاشم ، قدمت به من المدينة .

▲ وفاة المطلب و مما قيل فيه من الشعر

ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظمئ الحجيج بعد المطلبْ * بعد الجفان والشراب المنثغب

ليت قريشا بعده على نصب*

مطرود يبكي المطلب وبني عبد مناف

وقال مطرود بن كعب الخزاعي ، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلكا :

يا ليلة هيجت ليلاتي * إحدى ليالي القسيات

وما أقاسي من هموم وما * عالجت من رزء المنيات

إذا تذكرت أخي نوفلا * ذكَّرني بالأوليات

ذكرني بالأُزُر الحمر والْ أردية * الصفر القشيبات

أربعة كلهمُ سيد * أبناء سادات لسادات

ميْت بردمان وميت بسلمان * وميت عند غزات

وميت أسكن لحدا لدى الْ محجوب * شرقي البنيات

أخلصهم عبد مناف فهم * من لوم من لام بمنجاة

إن المغيرات وأبناءها * من خير أحياء وأموت

▲ اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا

وكان اسم عبد مناف المغيرة ، وكان أول بني عبد مناف هلكا هاشم ، بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ؛ ثم المطلب بردمان من أرض اليمن ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق .

شعر آخر لمطرود

فقيل لمطرود – فيما يزعمون – : لقد قلت فأحسنت ،ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن ؛ فقال : أنظروني ليالي ، فمكث أياما ، ثم قال :

يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري وابكي على السر من كعب المغيرات

يا عين واسحنفري بالدمع واحتفلي * وابكي خبيئة نفسي في الملمات

وابكي على كل فياض أخي ثقة * ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات

محض الضريبة عالي الهم مختلق * جلد النجيزة ناء بالعظيمات

صعب البديهة لا نكس ولا وكل * ماضي العزيمة متلاف الكريمات

صقر توسط من كعب إذا نسبوا * بحبوحة المجد والشم الرفيعات

ثم اندبي الفيض والفياض مطلبا * واستخرطي بعد فيضات بجمات

أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا * يا لهف نفسي عليه بين أموات

وابكي لك الويل ، إما كنت باكية * لعبد شمس بشرقي البنيات

وهاشم في ضريح وسط بلقعة * تسفي الرياح عليه بين غزات

ونوفل كان دون القوم خالصتي * أمسى بسلمان في رمس بموماة

لم ألق مثلهم عجما ولا عربا * إذا استقلت بهم أدم المطيات

أمست ديارهم منهم معطلة * وقد يكونون زينا في السريات

أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم * أم كل من عاش أزواد المنيات

أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم * بسط الوجوه وإلقاء التحيات

يا عين فابكي أبا الشعث الشجيات * يبكينه حسرا مثل البليات

يبكين أكرم من يمشي على قدم * يعولنه بدموع بعد عبرات

يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر * آبي الهضيمة فراج الجليلات

يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه * سمح السجية بسام العشيات

يبكينه مستكينات على حزن * يا طول ذلك من حزن وعولات

يبكين لما جلاهن الزمان له * خضر الخدود كأمثال الحميات

محتزمات على أوساطهن لما * جر الزمان من أحداث المصيبات

أبيت ليلي أراعي النجم من ألم * أبكي وتبكي معي شجوي بنياتي

ما في القروم لهم عدل ولا خطر * ولا لمن تركوا شروى بقبات

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم * خير النفوس لدى جهد الأليات

كم وهبوا من طمر سابح أرن * ومن طمرة نهب في طمرات

ومن سيوف من الهندي مخلصة * ومن رماح كأشطان الركيات

ومن توابع مما يفضلون بها * عند المسائل من بذل العطيات

فلو حسبت وأحصى الحاسبون معي * لم أقض أفعالهم تلك الهنيات

هم المدلون إما معشر فخروا * عند الفخار بأنساب نقيات

زين البيوت التي خلوا مساكنها * فأصبحت منهم وحشا خليات

أقول والعين لا ترقا مدامعها * لا يبعد الله أصحاب الرزيات

قال ابن هشام : الفجر : العطاء . قال أبو خراش الهذلي :

عجَّف أضيافي جميل بن معمر * بذي فجر تأوي إليه الأرامل

قال ابن إسحاق : أبو الشعث الشجيات : هاشم بن عبد مناف .

عبدالمطلب يلي السقاة والرفادة

قال : ثم ولي عبدالمطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشـرف في قومه شـرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم

ثم إن عبدالمطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أتي فأمر بحفر زمزم .

قال ابن إسـحاق : وكان أول ما ابتدىء به عبدالمطلب من حفرها ، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصـري عن مرثد بن عبدالله اليزني عن عبدالله بن زرير الغافقي : أنه سـمع علي بن أبي طالب رضـي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبدالمطلب بحفرها ، قال :

قال عبدالمطلب : إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة ، قال :قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضـجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر برة . قال

:فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المضنونة . فقال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبدا ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل .

▲ قريش تنازع عبدالمطلب في زمزم

قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها ، ودل على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ، ليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها . فلما بدا لعبدالمطلب الطي كبر .

▲ التحاكم في بئر زمزم

فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبدالمطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها ؛ قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم ؛ فقالوا له : فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ؛قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ؛ قالوا : كاهنة بني سعد بن هذيم ؛ قال : نعم ؛ قال : وكانت بأشراف الشام .

فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . قال : والأرض إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام

، فني ماء عبدالمطلب وأصـــحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم .
فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرأيك ، فمرنا بما شئت ؛ قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفســـه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ؛ قالوا : نعم ما أمرت به .
فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ؛ ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لا نضـرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسـنا ، لعجز ، فعسـى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا . حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها .
فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا يا عبدالمطلب ، والله لا نخاصـــمك في زمزم أبدا ، إن الذي ســـقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي ســـقاك زمزم ، فارجع إلى ســـقايتك

راشـــدا . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصـــلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه وبينها .

قال ابن إســـحاق : فهذا الذي بلغني من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبدالمطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الروي غير الكدر * يسقي حجيج الله في كل مبرْ

ليس يخاف منه شيء ما عمر *

فخرج عبدالمطلب ، حين قيل لـه ذلك ، إلى قريش ، فقال : تعلموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ؛ فقالوا : فهل بين بي لك أين هي ؟ قال : لا ؛ قالوا : فارجع إلى مضـــجعك الذي رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقا من الله يبين لك ، وإن يكن من الشـيطان فلن يعود إليك . فرجع عبدالمطلب إلى مضـــجعه فنام فيه ، فأتي فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبدا ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، مثل نعام حافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثا وعقدا محكم ، ليســـت كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم .

قال ابن هشـــام : هذا الكلام والكلام الذي قبله ، من حديث علي – رضــوان الله عليه – في حفر زمزم من قوله : (لا تنزف أبدا ولا تذم) إلى قوله : (عند قرية النمل) عندنا سجع وليس شعرا .

قال ابن إســـحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل لـه : عند قريـة النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أي ذلك كان .

عبدالمطلب يحفر زمزم

فغدا عبدالمطلب ومعه ابنـه الحارث ، وليس لـه يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : إســـاف ونـائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جده ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما ؛ فقال عبدالمطلب لابنه الحارث : ذد عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به .

فلما عرفوا أنه غير نـازع ، خلوا بينه وبين الحفر ، وكفوا عنـه ، فلم يحفر إلا يســيرا ، حتى بدا له الطي ، فكبر وعرفوا أنه قد صــدق . فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أســـيافا قلعية وأدراعا ؛ فقالت له قريش : يا عبدالمطلب ، لنا معك في هذا شــرك وحق ؛ قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصــف بيني وبينكم : نضــرب عليها بالقداح ؛ قالوا : وكيف تصــنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شــيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له ؛ قالوا : أنصفت .

فجعل قدحين أصـــفرين للكعبة ، وقدحين أســـودين لعبدالمطلب ، وقدحين أبيضـــين لقريش ؛ ثم أعطوا القداح صـــاحب القداح الذي يضـرب بها عند هبل (وهبل : صـنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أعل هبل : أي أظهر دينك) وقام عبدالمطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسـودان على الأسـياف ، والأدراع لعبدالمطلب ، وتخلف قدحا قريش .

فضرب عبدالمطلب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين من ذهب . فكان أول ذهب حليته الكعبة ، فيما يزعمون . ثم إن عبدالمطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

الطَّوِيّ و من حفرها

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة ، فيما حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

عبد شمس يحفر الطوي

حفر عبد شـمس بن عبد مناف الطوي ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف الثقفي .

هاشم يحفر بذر

وحفر هاشـــم بن عبد مناف بذر ، وهي البئر التي عند المســـتنذر ، خطم الخندمة على فم شعب أبي طالب . وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنها بلاغا للناس .

قال ابن هشام :وقال الشاعر :

سقى الله أمواها عرفت مكانها * جرابا وملكوما وبذر والغمرا

▲ سجلة والاختلاف فيمن حفرها

قال ابن إسحاق : وحفر سجلة ، وهي بئر المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يسـقون عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أســد بن هاشــم ، ويزعم بنو هاشــم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار .

▲ أمية بن عبد شمس يحفر الحفر

وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه .

▲ بنو أسد تحفر سقية

وحفرت بنو أسد بن عبدالعزى سقية ، وهي بئر بني أسد .

▲ بنو عبدالدار تحفر أم أحراد

وحفرت بنو عبدالدار أم أحراد .

▲ بنو جمح تحفر السنبلة

وحفرت بنو جمح السنبلة ، وهي بئر خلف بن وهب .

▲ بنو سهم تحفر الغمر

وحفرت بنو سهم الغمر ، وهي بئر بني سهم .

▲ أصحاب رم وخم والحفر

وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب ، وكلاب بن مرة ، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون ، وهي رم ، ورم : بئر مرة بن كعب بن لؤي . وخم ، وخم : بئر بني كلاب بن مرة ؛ والحفر . قال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي : قال ابن هشام :وهو أبو أبي جهم بن حذيفة :

وقدما غنينا قبل ذلك حقبة * ولا نستقي إلا بخم أو الحفر

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ، وسأذكرها إن شاء الله في موضعها .

فضل زمزم على سائر المياه

قال ابن إسحاق : فعفت زمزم على البئار التي كانت قبلها يسقي عليها الحاج ، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم

وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها ، وعلى سائر العرب ، فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد ، شرف بعضهم لبعض شرف ، وفضل بعضهم لبعض فضل :

ورثنا المجد من آبا ئنا * فنمى بنا صعدا

ألم نسق الحجيج وننحر * الدلافة الرفدا

ونُلقى عند تصريف الْ منايا * شُدَّدا رفدا

فإن نهلك فلم نملك * ومن ذا خالد أبدا

وزمزم في أرومتنا * ونفقأ عين من حسدا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إســحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي :

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهري

طوى زمزما عند المقام فأصبحت * سقايته فخرا على كل ذي فخر

قال ابن هشـــام : يعني عبدالمطلب بن هاشـــم . وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

▲ ذكر نذر عبدالمطلب ذبح ولده

قال ابن إســحاق : وكان عبدالمطلب بن هاشــم – فيما يزعمون والله أعلم – قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشـــرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشـرة ، وعرف أنهم سـيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصـــنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اســمه ، ثم ائتوني . ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدي للكعبة .

▲ قداح هبل السبعة

وكان عند هبل قداح ســـبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حملـه ؛ وقدح فيـه (نعم) للأمر إذ أرادوه يضرب به في القداح ، فإن خرج قدح (نعم) عملوا به ؛ وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضــربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ؛ وقدح فيه (منكم) ؛ وقدح فيه (ملصـــق) ، وقدح فيـه (من غيركم) ؛ وقدح فيـه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا في نسـب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا لصاحب القداح : اضرب ، يا إلهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا بـه كذا و كذا ، فأخرج الحق فيـه . ثم يقولون لصـــاحب القداح : اضـــرب ، فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وســيطا ، وإن خرج عليه (من غيركم) كان حليفا ؛ وإن خرج عليه (ملصق) كان على منزلته فيهم ، لا نسب له ولا حلف ؛ وإن خرج فيه شــيء ، مما ســوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ؛ وإن خرج (لا) أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

▲ عبدالمطلب يحتكم إلى القداح

فقال عبدالمطلب لصاحب القداح : اضرب على بَنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه ، وكان عبدالله بن عبدالمطلب أصغر بني أبيه ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام :عائذ بن عمران بن مخزوم .

▲ خروج القداح على عبدالله

قال ابن إسحاق : وكان عبدالله – فيما يزعمون – أحب ولد عبدالمطلب إليه ، فكان عبدالمطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى . وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها ، قام عبدالمطلب عند هبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبدالله .

▲ عبدالمطلب يحاول ذبح ابنه ، ومنع قريش له

فأخذه عبدالمطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبدالمطلب ؟ قال : أذبحه ؛ فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه . لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا !

وقال له المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ، وكان عبدالله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه .

وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة لها تابع ، فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

▲ ما أشارت به عرافة الحجاز على عبدالمطلب

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها – فيما يزعمون – بخيبر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدالمطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ؛ فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها ، قام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم ، وقربوا عشرا من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقد رضي ربكم ، ونجا صاحبكم .

▲ تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبدالله من الذبح

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام عبدالمطلب يدعو الله ؛ ثم قربوا عبدالله وعشرا من الإبل ، وعبدالمطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام

عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضـربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشـرا من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل خمســين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله عز وجل ، ثم ضــربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضــربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشــرا من الإبل ، فبلغت الإبل ســبعين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضــربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشــرا من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبدالمطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ؛ فزادوا عشــــرا من الإبل ، فبلغت الإبل مائة ، وقام عبدالمطلب يدعوا الله ، ثم ضــربوا ، فخرج القدح على الإبل ؛ فقالت قريش ومن حضـر : قد انتهى رضـا ربك يا عبدالمطلب . فزعموا أن عبدالمطلب قال : لا والله حتى أضـرب عليها ثلاث مرات ؛ فضـربوا على عبدالله وعلى الإبل ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدالمطلب قائم يدعو الله ، فضـربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبدالمطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سبع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

▲ ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبدالله بن عبدالمطلب

▲ عبدالله يرفضها

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدالمطلب آخذا بيد عبدالله ، فمر به – فيما يزعمون – على امرأة من بني أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ، وهي عند الكعبة ؛ فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال : مع أبي ، قالت : لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وقع علي الآن ، قال : أنا مع أبي ، ولا أستطيع خلافه ، ولا فراقه .

▲ عبدالله يتزوج آمنة بنت وهب

فخرج به عبدالمطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا .

▲ أمهات آمنة بنت وهب

وهي لبرة بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وبرة : لأم حبيب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

▲ سبب زهد المرأة المعترضة لعبدالله فيه

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل – وكان قد تنصر واتبع الكتب – : أنه سيكون في هذه الأمة نبي .

▲ قصة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث :

أن عبدالله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رات به أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمر بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم . ثم مر بامرأته تلك ، فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علي ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إســـحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ؛ قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بي ، فأبى علي ، ودخل على آمنة ، فأصـابها ، فحملت برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم . فكان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أوسـط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم .

▲ ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

رؤيا آمنة

ويزعمون – فيما يتحدث النـاس والله أعلم – أن آمنـة بنت وهـب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث :

أنها أُتيت ، حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسـيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعيذه بالواحد ، من شـر كل حاسـد ، ثم سـميه محمدا . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

▲ وفاة عبدالله

ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطلب ، أبو رســول الله صـــلى الله عليه وسلم ، أن هلك ، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به .

▲ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

▲ ابن إسحاق يحدد الميلاد

قال : حدثنا أبو محمد عبدالملك ابن هشـــــام قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي محمد بن إسحاق قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسـلم يوم الاثنين ، لاثنتي عشـرة ليلة خلت من شـهر ربيع الأول ، عام الفيل .

▲ رواية قيس بن مخرمة عن مولده صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : حدثني المطلب بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة ، قال :

ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لدتان .

▲ رواية حسان بن ثابت ، عن مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لغلام يفعة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ ســمعت يهوديا يصــرخ بأعلى صــوته على أطمة بيثرب : يا معشـر يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك ما لك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال محمد بن إسـحاق : فسـألت سـعيد بن عبدالرحمن بن حسـان بن ثابت ، فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم المدينة ؟ فقال : ابن ستين سنة ، وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين .

▲ إعلام أمه جده بولادته صلى الله عليه و سلم وما فعله به

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى جده عبدالمطلب : أنه قد ولد لك غلام ، فأته فانظر إليه ؛ فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت به أن تسميه .

▲ فرح جده به صلى الله عليه و سلم ، و التماسه له المراضع

فيزعمون أن عبدالمطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ؛ فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها . والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصه موسى عليه السلام :) وحرمنا عليه المراضع (.

▲ مرضعته حليمة و نسب أبيها

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها : حليمة ابنة أبي ذؤيب .

▲ نسب مرضعته

وأبو ذؤيب : عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

زوج حليمة ونسبه

واسم أبيه الذي أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

▲ أولاد حليمة

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبدالله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وحذافة بنت الحارث ، وهي الشيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به . وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب ، عبدالله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

▲ حديث حليمة عما رأته من الخير بعد تسلمها له صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي ، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، أو عمن حدثه عنه قال :

كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها ، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء ، لم تبق لنا شيئا . قالت : فخرجت على أتان لي قمراء ، معنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة

، وما ننام ليلنا أجمع من صـــبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شـارفنا ما يغديه – قال ابن هشـام : ويقال : يغذيه – ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك ، فلقد أدمت بالركب حتى شـق ذلك عليهم ضـعفا وعجفا ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضـــعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصـبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسـى أن تصـنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخـذت رضـــيعـا غيري ، فلمـا أجمعنـا الانطلاق ، قلـت لصــــاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صـــــواحبي ولم أخذ رضــــيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه ؛ قال : لا عليك أن تفعلي ، عســـى الله أن يجعل لنا فيـه بركـة . قالـت : فذهبـت إليـه فأخذته ، وما حملني علي أخذه إلا أني لم أجد غيره .

▲ الخير الذي أصاب حليمة

قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلي ، فلما وضـــعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شـاء من لبن ، فشـرب حتى روي ، وشـرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شـارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب منها ما شـرب ، وشـربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة .

قالت : يقول صـــاحبي حين أصـــبحنا : تعلمي والله يا حليمة ، لقد أخذت نسـمة مباركة ؛ قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك ، قالت :

ثم خرجنا وركبت أنا أتاني ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ؛ فيقلن : والله إن لها لشأنا .

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعا لُبَّنَا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم سرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعا لبنا .

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشبّ شبابا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا .

▲ رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة

قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت بُنيَّ عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا .

▲ حديث الملكين اللذين شقا بطنه صلى الله عليه و سلم

قال : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بشـــهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشـــتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه ، فهما يســـوطانه . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنتَقَعا وجهه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : ما لك يا بني ؛ قال : جاءني رجلان عليها ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به إلى خبائنا .

▲ حليمة ترد محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أمه

قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصـــيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته إليك كما تحبين ؛ قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قالت : كلا ، والله ما للشـيطان عليه من سـبيل ، وإن لبنيَّ لشـأنا ، أفلا أخبرك خبره ، قالت : قلت : بلى ؛ قالت : رأيت حين حملت به ، أنه خرج مني نور أضـاء قصـور بصـرى من أرض الشـام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ ولا أيســـر منه ، ووقع

حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة .

▲ الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسـحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي :

أن نفرا من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قالوا له : يا رسـول الله ، أخبرنا عن نفسـك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشـرى أخي عيسـى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضـاء لها قصـور الشـام ، واسترضـعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنـا مع أخ لي خلف بيوتنـا نرعى بهمـا لنـا ، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا ، ثم أخذاني فشـقا بطني ، واسـتخرجا قلبي فشـقاه ، فاسـتخرجا منه علقة سـوداء فطرحاها ، ثم غسـلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصـاحبه : زنه بعشـرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنـه بـألف من أمتـه ، فوزنني بهم فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنه بأمته لوزنها .

رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم وافتخاره بقرشيته

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ؛ قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا)
.

قال ابن إســـحاق : وكان رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم يقول لأصـحابه : أنا أعربكم ، أنا قرشـي ، واسـترضـعت في بني سـعد بن بكر .

▲ افتقاد حليمة له صلى الله عليه وسلم حين رجوعها به

قال ابن إســـحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمه السـعدية لما قدمت به مكة أضـلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمســته فلم تجده ، فأتت عبدالمطلب ، فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة . فلما كنت بأعلى مكة أضـــلني ، فوالله ما أدرى أين هو ؛ فقام عبدالمطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ؛ فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أســـد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبدالمطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبدالمطلب ، فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

▲ سبب آخر لرجوع حليمة به صلى الله عليه وسلم إلى مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم :

أن مما هاج أمه السـعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفرا من الحبشــة نصــارى ، رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه وســألوها عنه وقلبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا ، فإن هذا غلام كائن له شـأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم .

▲ وفاة آمنة ، وحال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم مع جده عبدالمطلب بعدها

▲ وفاة أمه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبدالمطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته ؛ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين ، توفيت أمة آمنه بنت وهب .

▲ عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفاة أمه

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار ، تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة .

▲ سبب خؤولة بني عدي بن النجار لرسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن هشـــام : أم عبدالمطلب بن هاشـــم : ســـلمى بنت عمرو النجارية . فهذه الخؤولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم .

▲ إجلال عبدالمطلب له صلى الله عليه وسلم و هو صغير

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبدالمطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ؛ قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبدالمطلب ، إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إن له لشأنا ؛ ثم يجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

▲ وفاة عبدالمطلب وما رثي به من الشعر

وفاة عبدالمطلب ، و ما قيل فيه من الشعر

فلما بلغ روس الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبدالمطلب بن هاشم . وذلك بعد الفيل بثماني سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبدالله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله :

أن عبدالمطلب توفي ورسوله الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين .

▲ عبدالمطلب يطلب من بناته أن يرثينه

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيب

أن عبدالمطلب لما حضـرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكن ست نسوة : صفية ، وبرة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضـاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت . قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه .

▲ رثاء صفية بنت عبدالمطلب لأبيها

فقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

أرقت لصوت نائحة بليل * على رجل بقارعة الصعيدِ

ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغل * له الفضل المبين على العبيد

على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير وارث كل جود

صدوق في المواطن غير نكس * ولا شخت المقام ولا سنيد

طويل الباع أروع شيظميّ * مطاع في عشيرته حميد

رفيع البيت أبلج ذي فضول * وغيث الناس في الزمن الحرود

كريم الجد ليس بذي وصوم * يروق على المسود والمسود

عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود

فلو خلد امرؤ لقديم مجد * ولكن لا سبيل إلى الخلود

لكان مخلدا أخرى الليالي لفضل المجد والحسب التليد

▲ رثاء برة بنت عبدالمطلب لأبيها

وقالت برة بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

أعيني جودا بدمع درِرْ على * طيب الخيم والمعتصرْ

على ماجد الجد واري الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذي المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الحلم والفصل في النائبات * كثير المكارم جم الفجر

له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر

أتته المنايا فلم تشوه * بصرف الليالي وريب القدر

▲ رثاء عاتكة بنت عبدالمطلب لأبيها

وقالت عاتكة بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

أعيني جودا ولا تبخلا * بدمعكما بعد نوم النيامْ

أعيني واسحنفرا واسكبا * وشوبا بكاءكما بالْتِدَام

أعيني واستخرطا واسجما * على رجل غير نكس كهام

على الجحفل الغمر في النائبات * كريم المساعي وفي الذمام

على شيبة الحمد واري الزناد * وذي مصدق بعد ثبت المقام

وسيف لدى الحرب صمصامة * ومردي المخاصم عند الخصام

وسهل الخليقة طلق اليدين * وفي عُدْمُلِّيّ صميم لهُام

تَبَنَّك في باذخ بيته * رفيع الذؤابة صعب المرام

▲ رثاء أم حكيم بنت عبدالمطلب لأبيها

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

ألا يا عين جودي واستهلي * وبكي ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك أسعفيني * بدمع من دموع هاطلات

وبكِّي خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات

طويل الباع شيبة ذا المعالي * كريم الخيم محمود الهبات

وصولا للقرابة هبرزيا * وغيثا في السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالي * تروق له عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى * إذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومفزعها إذا ما هاج هيج * بداهية وخصم المعضلات
فبكيه ولا تسمي بحزن * وبكي ، مابقيت ، الباكيات

▲ رثاء أميمة بنت عبدالمطلب لأبيها

وقالت أميمة بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

ألا هلك الراعي العشـــيرة ذو الفقدِ * وســـاقي الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته * إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد ياشيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خلاَّ مكانه * فلا تبعدن فكل حي إلى بعد
فإني لباك ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجدي
سقاك ولي الناس في القبر ممطرا * فسوف أبكيه وإن كان في اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيث ما كان من حمد

▲ رثاء أروى بنت عبدالمطلب لأبيها

وقال أروى بنت عبدالمطلب تبكي أباها :

بكت عيني وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياءُ
على سهل الخليقة أبطحي * كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي * أغر كأن غرته ضياء

أقب الكشح أروع ذي فضول * له المجد المقدم والسناء

أبيٍّ الضيم أبلج هبرزي * قديم المجد ليس له خفاء

ومعقل مالك وربيع فهر * وفاصلها إذا التمس القضاء

وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء

إذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذي ربد خشيب * عليه حين تبصره البهاء

▲ إعجاب عبدالمطلب بالرثاء

قال ابن إســحاق : فزعم لي محمد بن سـعيد بن المسـيب أنه أشـار برأسه وقد أصمت : أن هكذا فابكينني .

نسب المسيب بن حزن

قال ابن هشام : و المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

▲ رثاء حذيفة بن غانم لعبدالمطلب

قال ابن إســحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبدالمطلب بن هاشـم بن بن عبد مناف ، ويذكر فضـله وفضـل قصـي على قريش ، وفضـل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخـذ بغرم أربعـة آلاف درهم بمكـة ، فوقف بها فمر بـه أبو لهـب عبدالعزى بن عبدالمطلب فافتكه :

أعيني جودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أُسقيتما سبل القطر

وجودا بدمع واسفحا كل شارق * بكاء امرىء لم يشوه نائب الدهر

وسحا وجما واسجما ما بقيتما * على ذي حياء من قريش وذي ستر

على رجل جلد القوى ذي حفيظه * جميل المحيا غير نكس ولا هذر
على الماجد البهلول ذي الباع والندى* ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
على خير حاف من معد وناعل * كريم المساعي طيب الخيم والنجر
وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا * وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى * وبالفضل عند المجحفات من الغبر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فأصبحت * سقايته فخرا على كل ذي فخر
ليبك عليه كل عان بكربة * وآل قصي من مقل وذي وفر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم * تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
قصي الذي عادى كنانة كلها * ورابط بيت الله في العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها * فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
وأبقى رجالا سادة غير عزل * مصاليت أمثال الردينية السمر
أبو عتبة الملقى إليَّ حباؤه * أغر هجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر يهتز للندى * نقي الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصول لذي القربي رحيم بذي الصهر
كهولهم خير الكهول ونسلهم * كنسل الملوك لا تبور ولا تحري
متى ما تلاقي منهم الدهر ناشئا * تجده بإجْرِيًّا أوائله يجري
هم ملئوا البطحاء مجدا وعزة * إذا استبق الخيرات في سالف العصر
وفيهم بناة للعلا وعمارة * وعبد مناف جدهم جابر الكسر

بإنكاح عوف بنته ليجيرنا * من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
فسرنا تهامي البلاد ونجدها * بأمنه حتى خاضت العير في البحر
وهم حضروا والناس باد فريقهم * وليس بها إلا شيوخ بنو عمرو
بنوها ديارا جمة وطووا بها * بئارا تسح الماء من ثبج البحر
لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم * إذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة أيام تظل ركابهم * مخيسة بين الأخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة * ولا نستقي إلا بخُمَّ أو الحفر
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه * ويعفون عن قول السفاهة والهجر
وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها * وهم نكلوا عنا غواة بني بكر
فخارج ، إما أهلكنّ فلا تزل * لهم شاكرا حتى تغيب في القبر
ولا تنس ما أسدى ابن لُبنى فإنه * قد أسدى يدا محقوقة منك بالشكر
وأنت ابن لبنى من قصـــي إذا انتموا * بحيث انتهى قصـــد الفؤاد من الصدر
وأنت تناولت العلا فجمعتها * إلى محتد للمجد ذي ثبج جسر
سبقت وفت القوم بذلا ونائلا * وسدت وليدا كل ذي سؤدد غمر
وأمك سر من خزاعة جوهر * إذا حصل الأنساب يوما ذوو الخبر
إلى سبأ الأبطال تنمى وتنتمي * فأكرم بها منسوبة في ذرا الزهر
أبو شمر منهم وعمرو بن مالك * وذو جدن من قومها وأبو الجبر
وأسعد قاد الناس عشرين حجة * يؤيد في تلك المواطن بالنصر

قال ابن هشام : (أمك سر من خزاعة) ، يعني أبا لهب ، أمه لبنى بنت هاجر الخزاعي . وقوله : (بإجريا أوائله) عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود الخزاعي لعبدالمطلب و بني عبد مناف

قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبدالمطلب وبني عبد مناف :

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا سألت عن آل عبد مناف

هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن إقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

المنعمين إذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الإيلاف

والمطعمين إذا الرياح تناوحت * حتى تغيب الشمس في الرَّجَّاف

إما هلكت أبا الفعال فما جرى * من فوق مثلك عقد ذات نطاف

إلا أبيك أحي المكارم وحده * والفيض مُطَّلب أبي الأضياف

▲ ولاية العباس على سقاية زمزم

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبدالمطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا ؛ فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده . فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ما مضى من ولايته ، فهي إلى آل العباس ، بولاية العباس إياها ، إلى هذا اليوم .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبدالمطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبدالمطلب – فيما يزعمون – يوصي به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبدالله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأم ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم

▲ ولاية أبي طالب لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، فكان إليه ومعه .

▲ اللهبي العائف

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لهب – قال ابن هشام : ولهب : من أزد شنوءة – كان عائفا ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم .

قال : فأتى به أبو طالب وهو غلام ، مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام علي به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ، ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفا ، فوالله ليكونن له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

▲ قصة بحيرى

محمد صلى الله عليه وسلم يخرج مع عمه إلى الشام

قال ابن إسـحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشـام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسـلم – فيما يزعمون – فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبدا ، أو كما قال .

فخرج به معه .

▲ بحيرى يحتفي بتجار قريش

فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشـام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صـومعه له ، وكان إليه علم أهل النصـرانية ولم يزل في تلك الصـومعة منذ قط راهب ، إليه يصـير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون ، يتوارثونه كابرا عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه و هو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في صـومعته ، في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم .

قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شـجرة قريبا منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم حتى اسـتظل تحتها ؛ فلما رأى ذلك بحيرى نزل من

صـومعته ، وقد أمر بذلك الطعام ، فصـنع ثم أرسـل إليهم ، فقال : إنـي قد صـنعت لكم طعاما يا معشـر قريش ، فأنا أحب أن تحضـروا كلكم ، صـــغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم : فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا ، فما شـأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صـدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضـيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصـنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ، لحداثة سـنه ، في رحال القوم تحت الشـجرة ؛ فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ؛ قالوا لـه : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي لـه أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سـنا ، فتخلف في رحالهم ؛ فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضـر هذا الطعام معكم . قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى ، إن كـان للؤم بنـا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبدالمطلب عن طعـام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

▲ بحيرى يتثبت من محمد صلى الله عليه وسلم

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صـفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال له : يا غلام ، أسـألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسـألك عنه ؛ وإنما قال له بحيرى ذلك ،

لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما ؛ فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ؛ فقال له : سلني عما بدا لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم .

▲ بحيرى يوصي أبا طالب بمحمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ؛ قال : فإنه ابن أخي ؛ قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ؛ قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

▲ بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد صلى الله عليه وسلم الشر

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ؛ فزعموا فيما روى الناس : أن زريرا وتماما ودريسا ، وهم نفر

من أهل الكتاب ، قد كانوا رأوا من رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر ، الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه :

▲ محمد صلى الله عليه وسلم يشب على مكارم الأخلاق

فشب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسـالته ، حتى بلغ أن كان رجلا ، وأفضـل قومه مروءة ، وأحسـنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، تنـــزها وتكرما ، حتى ما اســمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

▲ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن حفظ الله له

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر لي – يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ؛ فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمني لاكم ما أراه ، لكمة وجيعة

، ثم قال : شد عليك إزارك ؛ قال : فأخذته وشددته علي ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي .

حرب الفجار

سببها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، فيما حدثني أبو عبيدة النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، هاجت حرب الفجار بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان .

وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ؛ فقال له البراض بن قيس ، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق كله . فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية ، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفجار .

وقال البراض في ذلك :

وداهية تهم الناس قبلي * شددت لها بني بكر ضلوعي

هدمت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالي بالضروع

رفعت له بذي طلال كفي * فخر يميد كالجذع الصريع

وقال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغ ، إن عرضت ، بني كلاب * وعامر والخطوب لها موالي

وبلغ ، إن عرضت ، بني نمير * وأخوال القتيل بني هلال

بأن الوافد الرحال أمسى * مقيما عند تيمن ذي طلال

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قتال هوازن لقريش

قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بعكاظ ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد القتال وهو صغير

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت أُنَبِّل على أعمامي : أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

سن رسول الله صلى الله عليه و سلم عند حرب الفجار

قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة .

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار

وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان ، كنانة وقيس عيلان ، فيه من المحارم بينهم.

المجلد الثاني

[تابع: حرب الفجار]

قائد قريش وكنانة

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شـمس ، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشـام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه قطعه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

سنه صلى الله عليه وسلم حين زواجه

قال ابن هشـام : فلما بلغ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خمسـا وعشـرين سـنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسـد بن عبدالعزى بن قصـي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني .

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى التجارة بمال خديجة

قال ابن إسـحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شـرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضـاربهم إياه ، بشـيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ؛ فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه

وسـلم ما بلغها ، من صـدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضـت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشـام تاجرا ، وتعطيه أفضـل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسـرة ، فقبله رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام .

▲ حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسـرة ، فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشـجرة ؟ قال له ميسـرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ؛ فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشـجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة . فكان ميسرة – فيما يزعمون – إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشـمس – وهو يسـير على بعيره – فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضـعف أو قريبا . وحدثها ميسـرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه .

▲ خديجة ترغب في الزواج منه صلى الله عليه وسلم

وكانت خديجة امرأة حازمة شـريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فقالت له – فيما يزعمون – : يا ابن عم ، إني قد

رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ؛ كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

▲ نسب خديجة رضي الله عنها

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر .

وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عمر بن لؤي بن غالب بن فهر .

وأم هالة : قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

▲ الرسول صلى الله عليه وسلم يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب ، رحمه الله ، حتى دخل على خويلد ابن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .

▲ صداق خديجة

قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضي الله عنها .

▲

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم – إلا إبراهيم – القاسمَ ، وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

▲

ترتيب ولادتهم

قال ابن هشام :

أكبر بنيه القاسم ،

ثم الطيب ،

ثم الطاهر ؛

وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق :

فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر ، فهلكوا في الجاهلية ؛

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

▲

إبراهيم وأمه

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية .

حدثنا عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة ، قال : أم إبراهيم : مارية سرية النبي صـــلى الله عليه وســـلم التي أهداها إليه المقوقس من حفن من كورة أنصنا .

▲ ورقة يتنبأ له صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أســـد بن عبدالعزى – وكان ابن عمها ، وكان نصـــرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس – ما ذكر لها غلامها ميســـرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه ؛ فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة ، إن محمدا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال .

▲ شعر لورقة

فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة في ذلك :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا * لهمّ طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظاري يا خديجا

ببطن المكتين على رجائي * حديثك أن أرى منه خروجا

بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يهوجا

بأن محمدا سيسود فينا * ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم * شهدت فكنت أولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعا * إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر * بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور * يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى * من الأقدار متلفة حروجا

▲ حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر

▲ سبب هذا البنيان

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها ، وإنما كانت رضما فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرا سرقوا كنزا للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة .
قال ابن هشام : فقطعت قريش يده .
وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها ، فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار ، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحه . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتتشرق على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها .

فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائرا فاختطفها ، فذهب بها ؛ فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

أبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث له عند بناء الكعبة

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم – قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم – فتناول من الكعبة حجرا ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إســـحاق : وقد حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي أنه حدث عن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي :

أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فســـأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجعدة بن هبيرة ؛ فقال عبدالله بن صـــفوان عند ذلك : جد هذا ، يعني أبا وهب ، الذي أخذ حجرا من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا تدخلوا فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد ، من الناس .

▲ شعر في أبي وهب

قال ابن إسحاق : وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنخت مطيتي * غدت من نداه رحلها غير خائب

بأبيض من فرعَيْ لؤي بن غالب * إذا حصلت أنسابها في الذوائب

أبيّ لأخذ الضيم يرتاح للندى * توسط جداه فروع الأطايب

عظيم رماد القدر يملا جفانه * من الخبز يعلوهن مثل السبائب

▲ نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة

ثم إن قريشا جزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأســـود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضـــموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وســـهم ، ابني

عمرو بن هصـــــيص بن كعب بن لؤي ، وكان شـــق الحجر لبني عبدالدار بن قصـــي ، ولبني أســـد بن عبدالعزى بن قصـــي ، ولبني عدي بن كعب بن لؤي ، وهو الحطيم .

▲ الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع – قال ابن هشـــــام : ويقال : لم نزغ – اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء ، فقد رضي الله صنعنا ، فهدمنا .

فأصــــبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضا .

▲ امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه

قال ابن إســـــحاق : فحدثني بعض من يروي : الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضـت مكة بأسـرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

▲ الكتاب الذي وجد في الركن

قال ابن إسـحاق : وحدثت أن قريشـا وجدوا في الركن كتابا بالسـريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذو

بكة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

الكتاب الذي وجد في المقام

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه : مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أول من أهلها .

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة

قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن كان ما ذكر حقا ، مكتوبا فيه : من يزرع خيرا يحصد غبطة ، ومن يزرع شرا يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب .

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

لعقة الدم

فقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا لعقة الدم .

فمكث قريش أربع ليال أو خمسـا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

▲

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا

فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلها ؛ قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا .

▲ الرسول صلى الله عليه وسلم يضع الحجر

فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هلم إلي ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بني عليه .

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين .

▲ شعر الزبير في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة

فلمـا فرغوا من البنيـان ، وبنوهـا على مـا أرادوا ، قـال الزبير بن عبدالمطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوبت العقاب * إلى الثعبان وهي لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب

إذا قمنا إلى التأسيس شدت * تهيبنا البناء وقد تهاب

فلما أن خشينا الرجز جاءت * عقاب تتلئب لها انصباب

فضمتها إليها ثم خلت * لنا البنينان ليس له حجاب

فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب

غداة نرفع التأسيس منه * وليس على مسوينا ثياب

أعز به المليك بني لؤي * فليس لأصله منهم ذهاب

وقد حشدت هناك بنو عدي * ومرة قد تقدمها كلاب

فبوأنا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن هشام : ويروي :

وليس على مساوينا ثياب*

▲ ارتفاع الكعبة وكسوتها

وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعا ، وكانت تكسـى القباطي ، ثم كسـيت البرود ، وأول من كسـاها الديباج الحجاج بن يوسف .

▲ حديث الحمس

▲ قريش تبتدع الحمس

قال ابن إســحاق : وقد كانت قريش – لا أدري أقبل الفيل أم بعده – ابتدعت رأي الحمس رأيا رأوه وأداروه ؛ فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقطان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شـيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك اسـتخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم .

فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضـــة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشـاعر والحج ودين إبراهيم صـلى الله عليه وسـلم ، ويرون لســائر العرب أن يقفوا عليها ، و أن يفيضــوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنـا أن نخرج من الحرمـة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس ، والحمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

▲ القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس

وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشـــام : وحدثني أبو عبيد النحوى : أن بني عامر بن صـــعصـــة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب :

أعباس لو كانت شيارا جيادنا * بتثليث ما ناصيت بعدي الأحامسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : السمان الحسان . يعني بالأحامس : بني عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمي ، وكان أغار على بن زبيد بتثليت . وهذا البيت من قصيدة لعمرو .

وأنشدني للقيط بن زرارة الدارمي في يوم جبلة :

أجذم إليك إنها بنو عبس * المعشر الجلة في القوم الحمس

لأن بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة .

يوم جبلة

ويوم جبلة : يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبين بني عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة ، وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس ، وأسر حاجب بن زرارة بن عدس ، وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبدالله ابن دارم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو إذ دعوا يالدارمِ

وهذا البيت في قصدية له .

يوم ذي نجب

ثم التقوا يوم ذي نجب ، فكان الظفر لحنظلة على بني عامر ، وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندي ، وهو ابن كبشة . وأُسر يزيد بن

الصـــــعق الكلابي وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عمر بن الطفيل . ففيه يقول الفرزدق :

ومنهن إذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد * نزيد على أم الفراخ الجواثم

وهذان البيتان في قصيدة له .

فقال جرير :

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه * ولاقى امرأ في ضمة الخيل مصقعا

وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جبلة ويوم ذي نجب أطول مما ذكرنا . وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت في حديث يوم الفجار .

▲ ما زادته قريش في الحمس

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغي للحمس ان يأتقطوا الأقط ، ولا يسئلوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيت من شعر ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرما ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم ، إذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس ، فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة .

▲ اللقى عند الحمس

فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجدوا ثياب الحمس ، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تســـمى تلك الثياب اللقى . فحملوا على ذلك العرب ، فدانت به . ووقفوا على عرفات ، وأفاضـوا منها ، وطافوا بالبيت عراة : أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النســاء فتضــع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجا عليها ، ثم تطوف فيه .

فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره .

فقال قائل من العرب يذكر شـيئا تركه من ثيابه فلا يقربه ، وهو يحبه :

كفى حزنا كري عليها كأنها * لقى بين أيدي الطائفين حريم

يقول : لا تمس .

الإسلام يبطل عادات الحمس

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشــرع له ســنن حجه :) ثم أفيضــوا من حيث أفاض الناس واســتغفروا الله ، إن الله غفور رحيم (يعني قريشـا . والناس : العرب . فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام :) يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (.

فوضع الله تعالى أمر الحمس ، وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

▲

الرسول صلى الله عليه وسلم يخالف الحمس قبل الرسالة

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير ، عن أبيه جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينزل عليه الوحي ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له ، صلى الله عليه و آله وسلم تسليما كثيرا .

▲ إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ببعثته صلى الله عليه وسلم

▲ الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه

قال ابن إسحاق : وكانت الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه .

أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت هي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، لا تلقي العرب لذلك فيه بالا ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ، فعرفوها .

▲ قذف الجن بالشهب دلالة على مبعثه صلى الله عليه وسلم

فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه ، حجبت الشيطان عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد .

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا :

(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وأنه كان يقول سفيهنا على

الله شـطـطا . وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا . وأنه كـان رجـال من الإنس يعوذون برجـال من الجن فزادوهم رهقا (...

إلى قوله :) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شـهابا رصـدا . وأنا لا ندري أشـر أريد بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا (.

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يشـكل الوحي بشـيء من خبر السـماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم) ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سـمعنا كتابا أنزل من بعد موسـى مصدقا لما بين يديه ، يهدي إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم (... الآيات

وكـان قول الجن :) وأنـه كـان رجـال من الإنس يعوذون برجـال من الجن ، فزادوهم رهقا (. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سـافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة من شر ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسفه . قال رؤبة بن العجاج :

إذ تستبي الهيامة المرهقا *

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضـا : طلبك الشـيء حق تدنو منه ، أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش :

بصبصن واقشعررن من خوف الرهق *

قال ابن هشـــام : وحدثني أبو عبيد النحوى : أن بني عامر بن صـــعصـــة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب :

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل للرجل : رهقت الإثم أو العسر ، الذي أرهقتني رهقا شديدا ، أي حملت الإثم أو العســـر الذي حملتني حملا شـــديدا ، وفي كتاب الله تعالى :) فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (.

وقوله :) ولا ترهقني من أمري عسرا (.

▲ ثقيف أول من فزعت برمى الجن

قال ابن إســـحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ، هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ، أحد بني علاج – قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا – فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث في الســـماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يُصلح الناس في معايشـــهم ، هي التي يرمى بها ، فهو والله طي الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذي فيها ؛ وإن كانت نجوما غيرها ، وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟ .

▲ الرســـول يســـأل الأنصـــار عن قولهم في رجم الجن بالشـــهب وتوضيحه للأمر

قال ابن إســـحاق : وذكر محمد بن مســـلم بن شـــهاب الزهري ، عن علي ابن الحســـين بن علي بن أبي طالب ، عن عبدالله بن العباس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : ماذا كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به ؟ قالوا : يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات مَلِك مُلِّك ملك ، ولد مولود مات مولود ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضـــى في خلقه أمرا ســـمعه حمله العرش ، فسبحوا ، فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيسبحوا ثم يقول بعضـــهم لبعض مم ســـبحتم فيقولون ســـبح من فوقنا فســـبحنا لتسبيحهم ؛ فيقولون : ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مم ســـــبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، للأمر الذي كان ؛ فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيتحدثوا به ، فتســترقه الشــياطين بالسمع ، على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصـيبون فيتحدث به الكهان ، فيصيبون بعضا ويخُطئون بعضا .

ثم إن الله عز وجل حجب الشـــياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إســـحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسـين بن علي رضـي الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه .

▲ الغيطلة وصاحبها

قال ابن إسـحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بني سـهم ، يقال لها الغيطلة ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلـة من الليـالي ، فـانقض تحتهـا ، ثم قـال : أدر مـا أدر ، يوم عقر ونحر ؛ فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها ، ثم قال : شـعوب ما شـعوب ، تُصـرع فيه كعب لجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ، إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر واحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته .

نسب الغيطلة

قال ابن هشـام : الغيطلة : من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة ، إخوة مدلج ابن مرة ؛ وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل

فقيل لولدها : الغياطل ؛ وهم من بني سـهم بن عمرو بن هصـيص . وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

▲ كاهن جنب يذكر خبر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسـحاق : وحدثني علي بن نافع الجرشـي : أن جنبا : بطنا من اليمن ، كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسـول الله

صـلى الله عليه وسـلم وانتشـر في العرب ، قالت له جنب : انظر لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسـفل جبله ؛ فنزل عليهم حين طلعت الشــمس ، فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأســه إلى السماء طويلا ، ثم جعل ينـــزو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمدا واصـطفاه ، وطهر قلبه وحشـاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم أسند في جبله راجعا من حيث جاء .

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن

قال ابن إســحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ؛ فلما نظر إليه عمر رضـي الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لعلى شــركه ما فارقه بعد ، ولقد كان كاهنا في الجاهلية . فســـلم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر رضـي الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ فقال الرجل : ســبحان الله يا أمر المؤمنين ! لقد خلت فيّ ، واســتقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت ؛ فقال عمر : اللهم غفرا ، قد كنا في الجاهلية على شـر من هذا ، نعبد الأصـنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسـوله وبالإسـلام ؛ قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنت كاهنا في الجاهلية ؛ قال : فأخبرني ما جاءك به صـاحبك ؛

قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعه ، فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع، وليس بشعر .

قال عبدالله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه ، يقول : يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن وإبلاسها * وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

▲ إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

▲ اليهود لعنهم الله يعرفونه ويكفرون به

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ،

وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شـــرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا ما نســمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة :) ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين (.

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفي كتاب الله تعالى :) ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (.

▲ سلمة يذكر حديث اليهودي الذي أنذر بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخي بني عبدالأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش ، وكان سلمة من أصحاب بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبدالأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبدالأشهل – قال سلمة : وأنا يومئذ من أحدث من فيه سنا ، علي بردة لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي – فذكر القيامة

والبعث والحســـاب والميزان والجنة والنار ؛ قال : فقال ذلك لقوم أهل شـرك أصـحاب أوثان ، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، ولودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غدا ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشـــار بيده إلى مكة واليمن ؛ فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلي وأنا من أحدثهم سـنا ، فقال : إن يسـتنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صـــلى الله عليه وســلم ، وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغيا وحسدا ، قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به .

▲ ابن الهيبان اليهودي يتسبب في إسـلام ثعلبة وأسـيد ابني سـعية ، وأسد بن عبيد

قال ابن إســحاق : وحدثني عاصــم بن عمر بن قتادة عن شـيخ من بني قريظة قال : قال لي : هل تدري عم كان إسـلام ثعلبة بن سـعية وأسـيد بن سـعية وأســد بن عبيد ، نفر من بني هدل ، إخوة من بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سـادتهم في الإسـلام . قال : قلت : لا و الله ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشـــام ، يقال

له : ابن الهيبان ، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ؛ فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ؛ فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر ، أو مدين من شعير . قال : فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي الله لنا . فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا . فلما عرف أنه ميت ، قال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ؛ قال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه ؛ وهذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يا بني قريظة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان ؛ قالوا : ليس به ؛ قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم و أموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

▲ حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

▲ سلمان رضي الله عنه يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبدالله بن عباس ، قال : حدثني سـلمان الفارسـي ، و أنا أسـمع من فيه ، قال : كنت رجلا فارسـيا من أهل أصـبهان من قرية يقال لها جَيّ ، وكان أبي دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياي حتى حبسـني في بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسـية حتى كنت قطن النار الذي يوقودها ، لا يتركها تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوما ، فقال لي : يا بني ، إني قد شـغلت في بنياني هذا اليوم عن ضـيعتي ، فاذهب إليها فاطلعها . وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبسـت عني كنت أهم إلي من ضـيعتي ، وشغلتني عن كل شيء من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضـيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسـة من كنائس النصـارى ، فسـمعت أصـواتهم فيها وهم يصـلون ، وكنت لا أدري ما أمر النـاس ، لحبس أبي إياي في بيتـه ، فلما سـمعت أصـواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصـنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صـلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشـمس ، وتركت ضـيعة أبي فلم آتها ؛ ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبي ، وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي بني أين كنت ؟ أولم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال : قلت له : يا أبت ، مررت بأناس يصلون في كنسية لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس ؛ قال : أي بني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ؛ قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيدا ، ثم حبسني في بيته .

▲ سلمان يهرب إلى الشام

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبروني بهم . فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام . فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسقفّ في الكنيسة .

▲ سلمان مع أسقف النصارى السيىء

قال : فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك في كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلي معك ؛ قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق .

قال : فأبغضـته بغضـا شـديدا لما رأيته يصـنع ؛ ثم مات ، فاجتمعت إليه النصــارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سـوء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المســاكين منها شــيئا . قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ؛ قالوا : فدلنا عليه ؛ قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا .

قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبدا . قال : فصــلبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

▲ سلمان مع أسقف النصارى الصالح

قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضـل منه وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه . قال : فأحببته حبا لم أحبه شـيئا قبله مثله . قال : فأقمت معه زمانا طويلا ، ثم حضــرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ، إني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصــي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصـل ، وهو فلان ، و هو على ما كنت عليه فالحق به .

▲ سلمان يلحق بأسقف الموصل

قال : فلما مات وغيب لحقت بصـاحب الموصـل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصـاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره

؛ قال : فقال لي : أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجوته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات .

فلما حضرته الوفاة ، قلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصي بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضـــرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصـــي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

▲ سلمان يلحق بأسقف نصيبين

فلما مات وغيب لحقت بصـــاحب نصـــيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرني به صـــاحبه ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صـــاحبيه . فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضـــر قلت له : يا فلان ، إن فلانا كان أوصـــى بي إلى فلان ، ثم أوصـــى بي فلان إليك ؛ فإلى من توصـــي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمرنا .

▲ سلمان يلحق بصاحب عمورية

فلما مات وغيب لحقت بصـــاحب عمورية ، فأخبرته خبري ؛ فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل ، علي هدي أصـــحابه وأمرهم . قال : واكتســـبت حتى كان لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمر الله تعالى ، فلما حُضـــر قلت له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصـــى بي إلى فلان ، ثم أوصـــى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصـــى

بي فلان إليك ، فإلى من توصـــي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصـــبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه الســـلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَره إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصـــدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن اســـتطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان يذهب إلى وادي القرى

قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شـــاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ؛ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودي عبدا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحقّ في نفسي .

سلمان يذهب إلى المدينة

فبينا أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصـفة صـاحبي ، فأقمت بها ، وبُعث رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة .

▲ سلمان يسمع بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

فوالله إني لفى رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قيلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

نسب قيلة

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج :

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد * عليهم خليط في مخالطة عتبا

مساميح أبطال يراحون للندى * يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبدالله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العُرَوْراء .

قال ابن هشام : و العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود – حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك . قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

▲ سلمان يستوثق من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئا ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان ؛ قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، و علي شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؛ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكي ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحول ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه

وعلى وآله وسلم أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد .

▲ سلمان يفتك نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته صلى الله عليه وسلم

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ؛ فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان ففقِّر لها ، فإذا فرغت فأتني أكنْ أنا أضعها بيدي .

قال : ففقَّرت وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودي ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، حتى فرغنا . فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة .

قال : فأديت النخل وبقي عليّ المال . فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسي المكاتب ؟ قال : فدعيت له ، فقال : (خذ هذه ، فأدها مما عليك يا سلمان) قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي ؟ فقال : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك .

قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حرا ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبدالقيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

▲ حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، قال : حُدثت عن سلمان الفارسي : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أخبره خبره : إن صاحب عمورية قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيضتين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي ، فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه . قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفي ، وغلبوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل ، إلا منكبه .

قال : فتناولته ، فقال : من هذا ؟ والتفت إلي ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم . قال : إنك لتسـألني عن شـيء ما يسـأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل .

قال : فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لسـلمان : لئن كنت صـدقتني يا سـلمان ، لقد لقيت عيسـى بن مريم ، على نبينا وعليه السلام .

▲ ذكر ورقة بن نوفل بن أسـد بن عبدالعزى وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

▲ تشككهم في الوثنية

قال ابن إسـحاق : واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صـنم من أصـنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيدا لهم في كل سـنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضـهم لبعض : تصـادقوا وَلْيَكْتُم بعضـكم على بعض ؛ قالوا : أجل . وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصـي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ؛ وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صـبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسـد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبدالمطلب ، وعثمان بن الحويرث بن أسـد بن عبدالعزى بن قصـي ؛ وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ؛ فقال بعضـهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شـيء ! لقد

أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حجر نُطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ، فإنكم والله ما أنتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

▲ تنصر ورقة وابن جحش

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما من أهل الكتاب .

وأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ؛ فلما قدمها تنصر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

▲ ابن جحش يغري مهاجري الحبشة على التنصر

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فقَّحْنا وصأصأتم ، أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صأصأ لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه .

▲ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته

قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فخطبها عليه النجاشي ، فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار .

فقال محمد بن علي : ما نرى عبدالملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملكها النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص .

تنصر ابن الحويرث ، وقدومه على قيصر

قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم ، فتنصَّر وحسنت منزلته عنده .

قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث ، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار .

▲ زيد بن عمرو يتوقف عن جميع الأديان

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب إبراهيم ؛ وبادى قومه بعيب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحد على

دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمة وحده .

شعر زيد في فراق الوثنية

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم في ذلك :

أربا واحدا أم ألف رب * أدين إذا تُقسمت الأمورُ

عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمَيْ بن عمرو أزور

ولا هبلا أدين وكان ربا * لنا في الدهر إذ حلمي يسير

عجبت وفي الليالي مُعجبات * وفي الأيام يعرفها البصير

بأن الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين ببر قوم * فيربِل منهم الطفل الصغير

وبينا المرء يفتر ثاب يوما * كما يتروّح الغصن المطير

ولكن أعبدالرحمن ربي * ليغفر ذنبي الرب الغفور

فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبوروا

ترى الأبرار دارهمُ جنان * وللكفار حامية سعير

وخزي في الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضـا – قال ابن هشـام : هي لأمية بن أبي الصـــلت في قصـــيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق – :

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا * وقولا رصينا لا يَني الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إله ولا رب يكون مدانيا

ألا أيها الإنسان إياك والردى * فإنك لا تخفي من الله خافيا

وإياك لا تجعل مع الله غيره * فإن سبيل الرشد أصبح باديا

حنانيك إن الحن كانت رجاءهم * وأنت إلهي ربنا ورجائيا

رضيت بك اللهم ربًّا فلن أرى * أدين إلها غيرك الله ثانيا

أدين لرب يُستجاب و لا أرى* أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

وأنت الذي من فضل منّ ورحمة * بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له يا اذهب وهارون فادعوا * إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

وقولا له : أأنت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا

وقولا له : أأنت رفعت هذه * بلا عمد أرفقْ إذا بك بانيا

وقولا له : أأنت سويت وسطها * منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

وقولا له : من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

وقولا له : من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه في رءوسه * وفي ذاك آيات لمن كان واعيا

وأنت بفضل منك نجيت يونسا * وقد بات في أضعاف حوت لياليا

وإني ولو سبحت باسمك ربنا * لأكثر ، إلا ما غفرت ، خطائيا

فرب العباد ألقِ سيبا ورحمة * علي وبارك في بَنيَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي–

نسب الحضرمي

قال ابن هشـــام : واســـم الحضـــرمي : عبدالله بن عماد بن أكبر أحد الصـدف ، واسـم الصـدف : عمرو بن مالك أحد السـكون بن أشـرس بن كنـدي ؛ ويقـال : كنـدة بن ثور بن مرتع بن عفير بن عـدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

▲ زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية

قال ابن إســـــحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صـلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت بـه الخطـاب بن نفيل ، وكـان الخطـاب بن نفيـل عمـه وأخـاه لأمـه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكَّل صـــفية به ، وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنيني به – فقال زيد :

لا تحبسيني في الهوا ن * صفيَّ ما دأبي ودابُهْ

إني إذا خفت الهوا ن * مشيع ذُلُل ركابه

دعموص أبواب الملو ك * وجائب للخرق نابه

قطاع أسباب تذ لّ * بغير أقران صعابه

وإنما أخذ الهوا ن * العير إذ يوهي إهابه

ويقول إني لا أذ لّ بصك * جنبيه صلابه

وأخي ابن أمي ثم * عمّي لا يُواتيني خطابه

وإذا يعاتبني بسو ء * قلت أعياني جوابه

ولو أشاء لقلت ما * عندي مفاتحه وبابه

▲ قول زيد حين يستقبل الكعبة

قال ابن إســـحاق : وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل ، أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال : لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا .

عذت بما عاذ به إبراهيمْ * مستقبل القبلة وهو قائم

إذ قال :

أنفي لك اللهم عان راغمْ * مهما تجشمني فإني جاشم

البرَّ أبغي لا الخال * ليس مُهجِّر كمن قال

قال ابن هشـــام : ويقال : البر أبقى لا الخال ، ليس مهجر كمن قال .

قال : وقوله (مستقبل الكعبة) عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا

▲ الخطاب يؤذي زيدا ويحاصره

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائها ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ؛ فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه .

فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه :

لاهُمَّ إني محرم لا حِلَّهْ * وإن بيتي أوسط المحلَّهْ

عند الصفا ليس بذي مَضلَّهْ*

▲ زيد يرحل إلى الشام وموته

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ؛ فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه .

وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا منهما ، فخرج سريعا ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه .

▲ ورقة يرثي زيدا

فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغي كما هيا

وإدراكك الدين الذي قد طلبته * ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت في دار كريم مقامها * تُعلَّل فيها بالكرامة لاهيا

تلاقي خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا إلى النار هاويا

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن هشــام : يروى لأمية بن أبي الصــلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتا في قصيدة له ، وقوله : (أوثان الطواغي) عن غير ابن إسحاق .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يحنس الحواري يثبت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسـحاق : وقد كان ، فيما بلغني عما كان وضـع عيسـى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صــفة رســول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبتت يحُنَّس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيســى بن مريم عليه الســلام في رســول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني ، وأيضـــا للرب ، ولكن لا بـد من أن تتم الكلمــة التي في النــاموس : أنهم أبغضـوني مجّانا ، أي باطلا . فلو قد جاء الْمنْحَمَنَّا هذا الذي يُرسلـه

الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس ، هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد علي وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معي في هذا قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمنحمنا بالسريانية : محمد ، وهو بالرومية : البرَقْلِيطس ، صلى الله عليه و آله و سلم.

▲ مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

▲ أخذ الله الميثاق على الرسل الإيمان به صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :) وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري (: أي ثقل ما حملتكم من عهدي) قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

▲ الرؤيا الصادقة أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إســحاق : فذكر الزهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشــة رضي الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بُدىء به رسول الله صلى الله عليه وسـلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصـادقة ، لا يرى رسـول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصـبح . قالت : وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

▲ سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسـحاق : وحدثني عبدالملك بن عبيد الله بن أبي سـفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم :

أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسـر عنه البيوت ويفضـي إلى شـعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسـول الله صـلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشـجر والحجارة . فمكث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كذلك يرى ويسـمع ، ما شـاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السـلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شـهر رمضان .

▲ نزول جبريل عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير ، قال : سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال : عبيد – وأنا حاضر يحدث عبدالله بن الزبير ومن عنده من الناس – : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تحنَّث به قريش في الجاهلية . والتحنث التبرر .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازلِ

التحنث والتحنف

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدف ، وجدث ، يريدون القبر .

قال رؤبة بن العجاج :

لو كان أحجاري مع الأجداف*

يريد : الأجداث . وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فم ، في موضع ثم ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : و حدثني وهب بن كيسان قال : قال عبيد : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك يجاور الشهر من كل سنة ،

يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ؛ وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتَّني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ؛ فقال :) اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم (. قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ؛ قال : فرفعت

رأسـي إلى السـماء أنظر ، فإذا جبريل في صـورة رجل صـافّ قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ؛ قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصــرف وجهي عنه في آفاق الســماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ؛ ثم انصرف عني .

▲ الرسـول صـلى الله عليه وسـلم يخبر خديجة رضـي الله عنها بنزول جبريل عليه

وانصـــرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلســت إلى فخذها مضــيفا إليها : فقالت : يا أبا القاســم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رســلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشـــر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

▲ خديجة رضــي الله عنها تخبر ورقة بن نوفل حديث رسـول الله صلى الله عليه و سلم

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصـي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب ، وسـمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ؛ فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صـــدقتيني يا

خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موســـى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له : فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رســول الله صـــلى الله عليه وســـلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضـــى رسـول الله صـــلى الله عليه وسـلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسـمعت ، فأخبره رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ؛ فقال له ورقة : والذي نفســي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موســـــى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصـــرن الله نصــرا يعلمه ، ثم أدنى رأســـه منه ، فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منــزله .

▲ تثبت خديجة رضي الله عنها من الوحي

قال ابن إسـحاق : وحدثني إسـماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه حُدث عن خديجة رضـي الله عنها أنها قالت لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم : أي ابن عم ، أتسـتطيع أن تخبرني بصـاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ؛ قالت : فإذا جاءك فأخبرني به .

فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني ؛ قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسـرى ؛ قال : فقام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فجلس عليها ؛ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت :

فتحولْ فاجلس على فخذي اليمنى ؛ قال : فتحول رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فجلس على فخذها اليمنى ؛ فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس في حجري ؛ قالت : فتحول رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فجلس في حجرها ؛ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قال : فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ؛ قالت : يا ابن عم ، اُثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثت عبدالله بن حسن هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك وما هو بشيطان .

- ابتداء تنزيل القرآن
- متى نزل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنـزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل :) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان (. وقال الله تعالى :) إنا أنزلناه في ليلة القدر .وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنـزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سـلام هي حتى مطلع الفجر (. وقال الله تعالى :) حم والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها

يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسـلين (. وقال تعالى :) إن كنتم آمنتم بـالله ومـا أنزلنـا على عبدنـا يوم الفرقـان يوم التقى الجمعان (. وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر .

▲ تاريخ وقعة بدر

قال ابن إسـحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسـين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسـحاق : ثم تتامّ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمن بالله مصـــدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله على رضـا العباد وسـخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

▲ إسلام خديجة بنت خويلد

▲ وقوفها بجانبه صلى الله عليه وسلم

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصـدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئا مما

يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

▲ تبشير الرسول لخديجة ببيت من قصب

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضـــــي الله عنه ، قال : قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : أمرت أن أُبشِّـر خديجة ببيت من قصـب ، لا صـخب فيه ولانصـب . قال ابن هشـام : القصـب ههنا : اللؤلؤ المجوف .

▲ جبريل يقرىء خديجة السلام من ربها

قال ابن هشـــام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه الســـلام أتى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ؛ فقال : أقرىء خديجة السـلام من ربها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يقرئك السـلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السـلام ، ومنه السـلام ، وعلى جبريل السلام .

▲ فترة الوحي ونزول سورة الضحى

قال ابن إسـحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شـــق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بســـورة الضـــحى ، يقســم له ربه ، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ، ما ودعه وما قلاه ، فقال تعالى :

) والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى (

. يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك .

) وللآخرة خير لك من الأولى (:

أي لما عندي من مرجعك إلي ، خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا .

) ولسوف يعطيك ربك فترضى (

من الفُلْج في الدنيا ، والثواب في الآخرة .) ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضـــالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى (يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنِّه عليه في يتمه وعيلته وضـــلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

تفسير ابن هشام لمفردات سورة الضحى

قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

إذ أتى موهنا وقد نام صحبي * وسجا الليل بالظلام البهيم

وهذا البيت في قصـيدة له ، ويقال للعين إذا سـكن طرفها : سـاجية ، وسجا طرفها .

قال جرير بن الخطفى :

ولقد رمينك حين رحن بأعين * يقتلن من خلل الستور سواجي

وهذا البيت في قصـيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته يأوي الضريك إذا شتا * ومستنبح بالي الدريسين عائل

وجمعه : عالة وعيل . وهذا البيت في قصـــيدة له ســـأذكرها في موضـعها إن شـاء الله . والعائل أيضـا : الذي يعول العيال . والعائل

أيضــا : الخائف . وفي كتاب الله تعالى :) ذلك أدنى ألا تعولوا (.

وقال أبو طالب :

بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها أن شاء الله في موضعها . والعائل أيضا : الشـيء المثقل المعيي . يقول الرجل : قد عالني هذا الأمر : أي أثقلني وأعياني ، قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريش * إذا ما الأمر في الحدثان عالا

وهذا البيت في قصيدة له .

) فأما اليتيم فلا تقهر . وأما الســـائل فلا تنهر (: أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ، ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله .) وأما بنعمة ربك فحدث (: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أي اذكرها وادع إليها ، فجعل رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله .

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرضـت الصـلاة عليه ، فصـلى رسـول الله صـلى الله عليه وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

▲ افترضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم زيدت

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعا ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

▲ جبريل يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

▲ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم خديجة الوضوء والصلاة

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته .

▲ جبريل يعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات الصلاة

قال ابن إسـحاق : وحدثني عتبة بن مسـلم ، مولى بني تميم ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، وكان نافع كثير الرواية ، عن ابن عباس قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصـر حين كان ظله مثله ، ثم صـلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصـبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصـلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس .

▲ ذكر أن علي بن أبي طالب رضي لله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذَكَر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب ابن عبدالمطلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشر سنين .

نعمة الله على علي بنشأته في كنف الرسول

وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب رضـي الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

سبب هذه النشأة

قال ابن إســـحاق : وحدثني عبدالله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله علي علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخير ، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم ، يا عباس : إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصـــاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ أنت رجلا ، فنكلهما عنه ؛ فقال العباس : نعم .

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشـــف عن الناس ما هم فيه ؛ فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلا فاصـنعا ما شـئتما – قال ابن هشـام : ويقال : عقيلا وطالبا – .

فأخذ رســول الله صـــلى الله عليه وســلم عليا ، فضــمه إليه ، وأخذ العباس جعفرا فضــمه إليه ؛ فلم يزل علي مع رســول الله صـــلى الله عليه وسـلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبعه علي رضـي الله عنه ، وآمن به وصـــدقه ؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أســـلم واستغنى عنه .

الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وعلي يخرجان إلى الصـلاة في شـعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما

قال ابن إسحاق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم – أو كما قال صلى الله عليه وسلم – بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أي عم ، أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ؛ فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت .

وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

▲ إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبدالعزى ابن امرئ القيس الكلبي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد علي بن أبي طالب .

نسب زيد

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشـــــام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة وصـيف ، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ؛ فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم عندها ، فاسـتوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شـديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعلْ * أحيّ فيرُجى أم أتى دونه الأجلْ

فوالله ما أدرى وإني لسائل * أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل

ويا ليت شـعري هل لك الدهر أوبة * فحسـبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكِّرْنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه إذا غربها أفل

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه وما وجل

سأُعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي * فكل امرىء فان وإن غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأقم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ؛ فلما أنزل الله عز وجل :) أُدعوهم لآبائهم (. قال : أنا زيد بن حارثة .

▲ إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وشأنه

نسبه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

اسمه ولقبه

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبدالله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه .

إسلامه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام

وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه ، محببا سـهلا ، وكان أنسـب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشـر ؛ وكان رجلا تاجرا ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

▲ ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

إسلام عثمان ، و الزبير و عبدالرحمن و سعد و طلحة

قال فأسـلم بدعائه – فيما بلغني – عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شـمس بن عبد مناف بن قصـي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي .

وعبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وسـعد بن أبي وقاص ، واسـم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، فجاء بهم إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما بلغني : ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت

فيه عنده كبوة ، ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

قال ابن هشام : قوله : (بدعائه) عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رؤبة بن العجاج :

وانصاع وثَّاب بها وما عكم

قال ابن إســـحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين ســـبقوا الناس بالإسلام ، فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

إسلام أبي عبيدة

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .

إسلام أبي سلمة

وأبو سلمة ، واسمه عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي .

إسلام الأرقم

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد – وكان أســـد يكنى أبا جندب – بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي .

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه

وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي . وأخواه قدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث

وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي .

إسلام سعيد بن زيد وامرأته

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب ابن نفيل بن عبدالعزى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي ، أخت عمر بن الخطاب .

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر ، وخباب بن الأرت

وأسماء بنت أبي بكر . وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة . وخباب بن الأرت ، حليف بني زهرة .

قال ابن هشام : خباب بن الأرت من بني تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن القاري

قال ابن إسحاق : وعمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص . وعبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل . ومسعود بن القاري ،

وهو مسعود ابن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبدالعزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة .

شئ عن القارة

قال ابن هشام : والقارة : لقب لهم ولهم يقال :

قد أنصف القارة من راماها*

وكانوا قوما رماة .

إسلام سليط وأخيه ، وعياش وامرأته ، وخنيس ، وعامر

قال ابن إسحاق : وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ؛ وأخوه حاطب بن عمرو . وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية . وخنيس بن حذافة بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي . وعامر بن ربيعة ، من عنز بن وائل ، حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى .

قال ابن هشام : عنز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

إسلام ابني جحش ، وجعفر وامرأته ، وحاطب وإخوته ونسائهم ، والسائب ، والمطلب وامرأته

قال ابن إسحاق : وعبدالله ابن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأخوه أبو أحمد بن جحش ، حليفا بني أمية بن عبد شمس .

وجعفر بن أبي طالب ؛ وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة ، من خثعم ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ، وأخوه حطاب بن الحارث ؛ وامرأته فكيهة بنت يسار .

ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي .

والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب .

والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي ، وامرأته : رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سُعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي .

إسلام نعيم والنحام

و النحام ، واسمه نُعيم بن عبدالله بن أسيد ، أخو بني عدي بن كعب بن لؤي .

نسب نعيم

قال ابن هشـام : هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويـج بن عدي بن كعب بن لؤي ، وإنمـا ســــمي النحـام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد سمعت نحْمه في الجنة .

قال ابن هشام : نحمه : صوته . و نحمه : حسه .

إسلام عامر بن فهيرة

قال ابن إسـحاق : وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر الصـديق رضـي الله عنه .

نسبه

قال ابن هشام : عامر بن فُهيرة مولَّد من مولدي الأسد ، أسود اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم .

إسلام خالد بن سعيد ونسبه وإسلام امرأته أمينة

قال ابن إسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصــــي بن مرة بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته أُمينة بنت خلف بن أســعد بن عامر بن بياضــة بن ســبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : همُينة بنت خلف .

إسلام حاطب وأبي حذيفة

قال ابن إســحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر .

وأبو حذيفة ، واسـمه مهشـم – فيما قال ابن هشـام – بن عتبة بن ربيعة بن عبد شـمس بن عبد مناف بن قصـي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

إسلام واقد وشيء من خبره

وواقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بني عدي بن كعب .

قال ابن هشـام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبناه ، فلما أنزل الله تعالى :

) ادعوهم لآبائهم (قال : أنا واقد بن عبدالله ، فيما قال أبو عمرو المدني .

إسلام بني البكير

قال ابن إسـحاق : وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشـب بن غيرة بن سـعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب .

إسلام عمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة

و عمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عنسي من مذحج .

إسلام صهيب

قال ابن إسحاق : و صهيب بن سنان ، أحد النمر بن قاسط ، حليف بني تميم بن مرة .

نسب صهيب

قال ابن هشـام : النمر بن قاسـط بن هنب بن أفصـى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسد ؛ ويقال : صـهيب : مولى عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويقال : إنه رومي .

فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسـط ، إنما كان أسـيرا في أرض الروم ، فاشتُري منهم . وجاء في الحديث عن النبي صـلى الله عليه و سلم : صهيب سابق الروم .

- مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، وما كان منهم
- أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه

قال ابن إسـحاق : ثم دخل الناس في الإسـلام أرسـالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ؛ وكان بين ما أخفى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أمره واسـتتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سـنين – فيما بلغني – من مبعثه ؛ ثم قال الله تعالى له :

) فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين (

. وقال تعالى :

) وأنذر عشـيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (.

▲ معنى اصدع بما تؤمر

قال ابن هشام : اصدع : افرق بين الحق والباطل .

قال أبو ذؤيب الهذلي ، واسمه خويلد بن خالد ، يصف أُتن وحش وفحلها :

وكأنهن ربابة وكأنه * يَسَر يُفيض على القداح ويصدعُ

أي يفرق على القداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت في قصيدة له .

وقال رؤبة بن العجاج :

أنت الحليم والأمير المنتقم * تصدع بالحق وتنفي من ظلمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة في الشعب

قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ، ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بِلَحْي بعير ، فشجه ، فكان أول دم هُريق في الإسلام .

▲ عداوة قومه له صلى الله عليه و سلم ، ومساندة أبي طالب له

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه – فيما بلغني – حتى ذكر آلهتهم وعابها ؛ فلما فعل ذلك أعظموه

وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصـــم الله تعالى منهم بالإســلام ، وهم قليل مسـتخفون ، وحدب على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عمُّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضـى رسـول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، مظهرا لأمره ، لا يرده عنه شيء .

فلما رأت قريش ، أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لا يعتبهم من شـــيء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأبو ســفيان بن حرب بن أمية بن عبد شـــمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صخر .

قال ابن إســحاق : وأبو البختري ، و اســمه العاص بن هشــام بن الحارث ابن أسد بن عبدالعزى بن قصــي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هاشم .

قال ابن إســحاق : والأســود بن المطلب بن أســد بن عبدالعزى بن قصـــي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأبو جهل – واســـمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم – بن هشــام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظـة بن مرة بن كعـب بن لؤي . والوليـد بن

المغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . و نُبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن ســـعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي . والعاص بن وائل .
قال ابن هشــام : العاص بن وائل بن هاشــم بن سُــعيد بن ســهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي .

▲ وفد قريش يعاتب أبا طالب في شأن الرسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ؛ فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه ؛ فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

▲ الرسول صلى الله عليه وسلم يستمر في دعوته

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شـــرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضا عليه .

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية

ثم إنهم مشـــوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنـــزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصـــبر على هذا من شـــتم آباءنا ، وتسـفيه

أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، أوكما قالوا له . ثم انصـــرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .

ما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي طالب

قال ابن إســـحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدث : أن قريشـــا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبقِ علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ؛ قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، والله لو وضعوا الشـــمس في يميني ، و القمر في يســـاري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ؛ فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخي ؛ قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

▲ قريش تعرض عمارة بن الوليد المخزومي على أبي طالب

قال ابن إســـحاق : ثم إن قريشـــا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وإسـلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشـوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له – فيما بلغني – : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا ، الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسـفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ؛ فقال : والله لبئس ما تســـومونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون ابدا .

قال : فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصـــي : و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شـيئا ؛ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصـــفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظارهة القوم علي ، فاصـــنع ما بدا لك ، أو كما قال . قال : فحقب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادى بعضهم بعضا .

شعر أبي طالب في التعريض بالمطعم ومن خذله من عبد مناف

فقال أبو طـالـب عند ذلك ، يعرض بـالمطعم بن عدي ، ويُعم من خذله من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظي من حياطتكم بكْرُ

من الخور حبحاب كثير رُغاؤه * يُرش على الساقين من بوله قطر

تخلف خلف الوِرْد ليس بلاحق * إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر

أرى أخوينا من أبينا وأمنا * إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جُرجمت من رأس ذي علق الصخر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما يُنبذ الجمر

هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صِفْرُ

هما أشركا في المجد من لا أبا له * من الناس إلا أن يُرس له ذكر

وتيم ومخزوم وزُهرة منهمُ * وكانوا لنا مولى إذا بُغي النصر

فوالله لا تنفك منا عداوة * ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قريش تظهر عداوتها للمسلمين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب ، عدو الله الملعون .

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه ، وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظُلامة إذا * ما ثنوا صُعْر الخدود نُقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أجحارها من يرومها

بنا انتعش العود الذَّوَاء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

▲ الوليد بن المغيرة و كيده للرسول ، وموقفه من القرآن

اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضد النبي صلى الله عليه و سلم و اتفاق قريش أن يصفوا الرسول صلى الله عليه و سلم بالساحر ، و ما أنزل الله فيهم

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم

بعضـا ، ويرد قولكم بعضـه بعضـا ؛ قالوا : فأنت يا أبا عبد شـمس ، فقلْ وأقمْ لنا رأيا نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا أسـمعْ ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ؛ قالوا : فنقول : شـاعر ؛ قال : ما هو بشـاعر ، لقد عرفنا الشـعر كله رجزه وهزجه وقريضـه ومقبوضـه ومبسـوطه ، فما هو بالشـعر ؛ قالوا : فنقول : سـاحر ؛ قال : ما هو بسـاحر ، لقد رأينا السـحار وسـحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ؛ قالوا : فما نقول يا أبا عبد شـمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصـله لعذق ، وإن فرعه لجناة – قال ابن هشام : ويقال لغَدَق – وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا سـاحر ، جاء بقول هو سـحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة و في ذلك من قوله :) ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا وبنين شـهودا ، ومهَّدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (: أي خصيما .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضرابون رأس العُنَّدِ*

وهذا البيت في أرجوزة له .

) سـأرهقه صـعودا ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ، ثم عبس وبسر (.

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مضبر اللحيين بسرا منهسا*

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له .

) ثم أدبر واسـتكبر فقال إن هذا إلا سـحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر (.

▲

رد القرآن على صحب الوليد

قال ابن إسـحاق : وأنزل الله تعالى : في النفر الذين كانوا معه يصـنفون القول في رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وفيما جاء به من الله تعالى :) كما أنزلنا على المقتسـمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لنسئلنهم أجمعين . عما كانوا يعملون (.

قال ابن هشـام : واحدة العضـين : عضـة ، يقول : عضـوه : فرقوه .

قال رؤبة بن العجاج :

وليس دين الله بالمُعَضَّى*

وهذا البيت في أرجوزة له . (2/ 108)

▲ تفرق النفر في قريش يشوهون رسالة الرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

▲

شعر أبي طالب في معاداة خصومه

فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشـــراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شـــعره أنه غير مســـلم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، ولا تاركه لشـيء أبدا حتى يهلك دونه ، فقال :

ولما رأيت القوم لا ود فيهمُ * وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنّة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه * لدي حيث يقضي حلفه كل نافل

وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم * بمفضَى السيول من إساف ونائل

موسمَّة الأعضاد أو قصراتها * مخُيَّسة بين السَّديس وبازل

ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو مُلحّ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت ، حق البيت ، من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه * إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له * إلالٌ إلى مُفضَى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه * سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حُجَّاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له * وردَّا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهمُ سمُر الصفاح وسرحه * وشبرقة وَخْدَ النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقى الله عاذل
يُطاع بنا أمر العدَّى وودّوا لو اننا * تُسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نُبزَى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * و نذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكمُ * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضـــغن يركـب * رَدْعـه من الطعن فعـل الأنكـب المتحامل
وإنا لعمر الله إنْ جدَّ ما أرى * لَتلتبسنْ أسيافنا بالأماثل
بِكفَّيْ فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهورا وأياما وحولا مجَرَّما * علينا وتأتي حِجة بعد قابل
وما ترك قوم ، لا أبا لك ، سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلاّف من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره * إلى بغضنا وجزّآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أُبيّا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سُبيع ونوفل * وكلٌّ تولى معرضا لم يجُامل
فإن يُلْقيا أو يمُكن الله منهما * نكلْ لهما صاعا بصاع المُكايل
وذاك أبو عمرو أبي غير بُغضنا * ليُظعننا في أهل شاء وجامل
يناجي بنا في كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويُؤْلى لنا بالله ما إن يغشُّنا * بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الأرض بين أخشب فمجادل
وسائلْ أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يُعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل

فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذي دغاول

ومر أبو سفيان عني معرضا * كما مر قَيْلٌ من عظام المقاول

يفر إلى نجد وبرد مياهه * ويزعم أني لست عنكم بغافل

ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل

أمطعمُ لم أخذلك في يوم نجدة * ولا معظم عند الأمور الجلائل

ولا يوم خصم إذا أتوك ألدّة * أُولي جدل من الخصوم المساجل

أمطعم إن القوم ساموك خطة * وإني متى أُوكلْ فلست بوائل

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

بميزان قسط لا يخُسّ شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألّبوا * علينا العدا من كل طمل وخامل

فعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل

لعمري لقد وهنتمُ وعجزتمُ * وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل

وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم الْ آن * حطاب أَقدُر ومراجل

ليهنىء بني عبد مناف عقوقنا * وخذلاننا وتركنا في المعاقل

فإن نك قوما نتَّئر ما صنعتمُ * وتحتلبوها لقحة غير باهل

وسائط كانت في لؤي بن غالب * نفاهم إلينا كل صقر حُلاحل

ورهط نفيل شر من وطىء الحصى * وألأم حاف من معد وناعل

فأبلغ قصيا أن سيُنشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل

ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * إذا ما لجأنا دونهم في المداخل

ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكنا أُسى عند النساء المطافل
فكل صديق وابن أخت نعده * لعمري وجدنا غِبَّه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء إلينا من معقَّة خاذل
وهنًّا لهم حتى تبدد جمعهم * ويحسر عنا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم * ونحن الكُدى من غالب والكواهل
شباب من المطيِّبين وهاشم * كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما * ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم * ضواري أسود فوق لحم خرادل
بني أمة محبوبة هندكية * بني جمح عُبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة * بهم نُعي الأقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذَّب * زهير حساما مفردا من حمائل
أشمُّ من الشم البهاليل ينتمي * إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كُلِّفت وجدا بأحمد * وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مُؤمَّل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إلاها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسنة * تجُر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جِدّا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب * لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة * تُقصِّر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

فأيده ربُّ العباد بنصره * وأظهر دينا حقه غير باطل

رجال كرام غير مِيل نماهم * إلى الخير آباء كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤي صُقيبة * فلا بد يوما مرة من تزايل

قال ابن هشـــام : هذا ما صـــح لي من هذه القصـــيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

▲

الرســول عليه الصــلاة والســلام يســتقي لأهل المدينة حين أقحطوا ، فنزل المطر ، وود لو أن أبا طالب حي ، ليرى ذلك

قال ابن هشـــــام : وحدثني من أثق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صـــلى الله عليه وســلم المنبر فاســتســقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضـــواحي يشـــكون منه الغرق ؛ فقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حوليها كالإكليل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أردك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل .

قال ابن هشام : وقوله (وشبرقة) عن غير ابن إسحاق .

ذكر الأسماء التى وردت في قصيدة أبي طالب

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص ، وأبو ســــفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، و أمه عاتكة بنت عبدالمطلب .

قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن ســعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد عتبة بن ربيعة . وأُبيّ الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشــام : وإنما ســمي الأخنس ، لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أُبي ، وهو من بني علاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة . والأســود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسبيع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شــياطين قريش ، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصــديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما ، فبذلك كانا يُسميان القرينين ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر . وأبو عمرو قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف .

(وقوم علينا أظنَّة) : بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب .

▲ انتشـــار ذكر الرســول في القبائل خارج مكة ، و لاســيما في الأوس و الخزرج

فلما انتشــر أمر رســول الله صــلى الله عليه وســلم في العرب ، وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يســـمعون من أحبار اليهود ، وكـانوا لهم حلفـاء ، ومعهم في بلادهم . فلمـا وقع ذكره بـالمـدينـة ، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسـلت . أخو بني واقف .

▲ نسب أبي قيس بن الأسلت

قال ابن هشـام : نسـب ابن إسـحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونســبه في حديث الفيل إلى خطمة ، لأن العرب قد تنســب الرجل إلى أخي جده الذي هو أشهر منه .

قال ابن هشـام : حدثني أبو عبيدة : أن الحكم بن عمرو الغفاري من ولـد نُعيلـة أخي غفـار . وهو غفـار بن مليـل ، ونعيلـة بن مليـل بن ضـــمرة بن بكر ابن عبد مناة ، وقد قالوا عتبة بن غزوان الســـلمي ، وهو من ولد مازن بن منصـور وسُليم بن منصـور .

قال ابن هشــــام : فأبو قيس بن الأســـلت : من بني وائل ؛ ووائل ، وواقف ، وخطمة إخوة من الأوس .

▲ شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت – وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهرا ، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته – قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفيل وكيده عنهم ، فقال :

يا راكبا إما عرضت فبلغن * مغلغلة عني لؤي بن غالب

رسول امرئ قد راعه ذات بينكم * على النأي محزون بذلك ناصب

وقد كان عندي للهموم معرَّس * فلم أقض منها حاجتي ومآربي

نُبيّتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مُذْك وحاطب

أعيذكم بالله من شر صنعكم * وشر تباغيكم ودس العقارب

وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الأشافي وقعها حق صائب

فذكِّرهم بالله أول وهلة * وإحلال أحرام الظباء الشوازب

وقل لهم والله يحكم حكمه * ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغُول للأقصَين أو للأقارب

تُقطِّع أرحاما وتهلك أمة * وتَبْري السديف من سنام وغارب

وتستبدلوا بالأتحمية بعدها * شليلا وأصداء ثياب المحارب

وبالمسك والكافور غُبرْا سوابغا * كأن قتيرَيْها عيون الجنادب

فإياكمُ والحرب لا تعلقنَّكم * و حوضا وخِيم الماء مر المشارب

تزين للأقوام ثم يرونها * بعاقبة إذ بيَّنت ، أم صاحب

تحرق لا تُشوي ضعيفا وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب

ألم تعلموا مـا كـان في حرب داحس * فتعتبروا أو كـان في حرب حاطب

وكم قد أصابت من شريف مسوَّد * طويل العماد ضيفُه غير خائب

عظيم رماد النار يحُمد أمره * وذي شيمة محض كريم المضارب

وماء هُريق في الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصبا والجنائب

يخبركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب

فبيعوا الحراب مِلْمُحارب واذكروا * حسابكم والله خير محاسب

وليّ امرىء فاختار دينا فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب

أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم * لنا غاية قد يهتدى بالذوائب

وأنتم لهذا الناس نور وعصمة * تُؤَمُّون ، والأحلام غير عوازب

وأنتم ، إذا ما حصل الناس ، جوهر * لكم سرة البطحاء شم الأرانب

تصونون أجسادا كراما عتيقة * مهذبة الأنساب غير أشائب

ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكى تهتدي بعصائب

لقد علم الأقوام أن سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب

وأفضله رأيا وأعلاه سنة وأَقولُه للحق وسط المواكب*

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

كتيبته بالسهل تمُسي ورَجْلُه * على القاذفات في رءوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * إلى أهله مِلْحُبْش غير عصائب
فإن تهلكوا نهلكْ وتهلكْ مواسم * يُعاش بها ، قول امرئ غير كاذب
قال ابن هشـــام : أنشـــدني بيته : (وماء هريق) ، وبيته : (فبيعوا الحراب) ، وقوله : (ولي امرىء فاختار) ، وقوله :
على القاذفات في رءوس المناقب*
أبو زيد الأنصاري وغيره .
حرب داحس والغبراء
قال ابن هشام : وأما قوله :
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس*
فحدثني أبو عبيدة النحوي : أن داحســـا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيـد بن جؤيـة بن لوذان بن ثعلبـة بن عـدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقال لها : الغبراء .
فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس ســـابقا فضـــربوا وجهه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيســـا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجـه الغبراء ، فقام حمَل بن بـدر فلطم مـالكا . ثم إن أبـا الجُنَيْدب

العبسـي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله ، فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا * فإن تطلبوا منا سوى الحق تندموا

وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الأطهار

وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة ، وجزع عليه :

كم فارس يُدعى وليس بفارس * وعلى الهباءة فارس ذو مَصْدَقِ

فابكوا حذيفة لن تُرَثُّوا مثله * حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أن الفتى حمل بن بدر بغى والظلم مرتعه وخيم*

وهذا البيت في أبيات له . وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركت على الهباءة غير فخر * حذيفة عنده قصد العوالي

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشـام : ويقال : أرسـل قيس داحسـا والغبراء ، وأرسـل حذيفة الخطار والحنفاء ، والأول أصح الحديثين . وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشـــــام : وأما قوله : (حرب حاطب) . فيعني حاطب بن الحارث ابن قيس بن هيشــة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك

بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جارا للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج – وهو الذي يقال له : ابن فُسحم ، وفسحم أمه ، وهي امرأة من القين بن جسر – ليلا في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المجذَّر بن ذياد البلوي ، واسمه عبدالله ، حليف بني عوف بن الخزرج .

فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت ، فوجد الحارث بن سويد غِرَّة من المجذر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

شعر حكيم بن أمية في نهي قومه عن عداوة الرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ، حليف بني أمية وقد أسلم ، يورّع قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قائل قولا هو الحق قاعد * عليه وهل غضبان للرشد سامعُ

وهل سيد ترجو العشيرةُ نفعه * لأقصى الموالي والأقارب جامع
تبرأت إلا وجه من يملك الصبا * وأهجركم ما دام مُدْل ونازع
وأُسلم وجهي للإله ومنطقي * ولو راعني من الصديق روائع

▲ ذكر ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

▲ سفهاء قريش يأذونه ، و رميه صلى الله عليه و سلم بالسحر و الجنون

قال ابن إسحاق : ثم إن قريش اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم كفرهم .

▲ أشد ما أوذي به الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يُظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فبينا هم في ذلك إذ طلع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفَؤُه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ؛ فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا الذي أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه .

قال : فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

▲ بعض ما نال أبا بكر في سبيل الرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إســـحاق : وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر ، أنها قالت : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صــدعوا فرق رأســه ، مما جبذوه بلحيته وكان كثير الشعر .

▲ أشد ما أوذي به رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن هشــام : حدثني بعض أهل العلم : أشــد ما لقي رســول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رســول الله صـــلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه :) يا أيها المدثر ، قم فأنذر (.

▲ إسلام حمزة رضي الله عنه

▲

سبب إسلامه

قال ابن إســحاق : حدثني رجل من أسـلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضـــعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن ســعد بن تيم بن مرة في مســكن لها تســمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم .

فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه ، راجعا من قنص له ، و كان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة .

فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

▲

إيقاع حمزة بأبي جهل و إسلامه

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِدّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد ذلك علي إن استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقال : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

: قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمعْ ؛ قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًا تراه لا

تسـتيطع رده عن نفسـك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه ، أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يسـتمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسـمع مني ؛ قال : أفعل ؛

فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم .

حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشـيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسـمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه)

ثم مضـى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فيها يقرؤها عليه . فلما سـمعها منه عتبة ، أنصـت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسـمع منه ؛ ثم انتهى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى السـجدة منها ، فسـجد ثم قال : قد سـمعت يا أبا الوليد ما سـمعت ، فأنت وذاك .

رأي عتبة

فقام عتبة إلى أصـحابه ، فقال بعضـهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سـمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشـعر ، ولا بالسـحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين

ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي ســمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصـــبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسـعد الناس به ؛ قالوا : سـحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم . ما دار بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين رؤساء قريش ، و تفسير لسورة الكهف

▲ قريش تفتن المسلمين ، و تستمر على تعذيب من أسلم

قال ابن إسـحاق : ثم ان الإسـلام جعل يفشـو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنسـاء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسـه ، وتفتن من اسـتطاعت فتنته من المسـلمين ، ثم إن أشـراف قريش من كل قبيلة ، كما حدثني بعض أهل العلم عن سـعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبدالله بن عباس رضـي الله عنهما قال :

▲ زعماء قريش تفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم

اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشـيبة بن ربيعة ، وأبو سـفيان بن حرب ، والنضر ابن الحارث بن كلدة ، أخو بني عبدالدار ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشـام وعبدالله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السـهميان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشـمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضـهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصـموه حتى

تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ؛ فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك – أو كما قالوا له – فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أونُعذر فيك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شـيئا مما عرضـناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضـيق بلدا ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فَلْيُسيِّـرْ عنا هذه الجبال التي قد ضـيقت علينا ، وليبسـط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سـألناك صـدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسـولا كما تقول . فقال لهم صـلوات الله وسـلامه عليه : ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أُرسـلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسـك ، سـل ربك أن يبعث معك ملكا يصـدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسـله فليجعل لك جنانا وقصـورا وكنوزا من ذهب وفضـة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسـواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش منا كما تلتمسـه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسـأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشـيرا ونذيرا – أو كما قال – فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا

والآخرة ، وإن تردوه علي أصـبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل .

قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نبعد الملائكة ، وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

▲ حديث عبدالله بن أبي أمية مع رسول الله صلى الله عليه و سلم

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عنهم ، وقام معه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم – وهو ابن عمته ، فهو لعاتكة بنت عبدالمطلب – فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ،

ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم ســـــألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل – أو كما قال له – فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى الســماء ســلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشــهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله ، لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصـدقك ، ثم انصـرف عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم . وانصـرف رسول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى أهله حزينا آسـفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

▲ أبو جهل يتوعد الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما قام عنهم رسـول الله صــلى الله عليه وسـلم ، قال أبو جهل : يا معشـر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسـفيه أحلامنا ، وشـتم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسـن له غدا بحجر ما أُطيق حمله – أو كما قال – فإذا ســجد في صـــلاته فضــخت به رأســه ، فأسـلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصـنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ؛ قالوا : والله لا نسـلمك لشــيء أبدا ، فامض لما تريد .

▲ ما حدث لأبي جهل حين هم بإلقاء الحجر على الرسول صلى الله عليه و سلم

فلما أصــبح أبو جهل ، أخذ حجرا كما وصـف ، ثم جلس لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ينتظره ، وغدا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كما كان يغدو . وكان رسـول الله صــلى الله عليه وسـلم بمكة وقبلته

إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصـــلي وقد غدت قريش فجلســـوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سـجد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يـــــبســـت يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصــرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ بي أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه .

▲ النضـر بن الحارث ينصـح قريشـا بالتدبر فيما جاء به الرسـول صلى الله عليه و سلم

فلما قال لهم ذلك أبو جهل ، قام النضـــــر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ابن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسـحاق : فقال : يا معشـر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضـاكم فيكم ، وأصـــــدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صـــــدغيه

الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السـحرة ونفثهم وعقدهم ؛ وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ؛ وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ؛ وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

أذى النضر بن الحارث للرسول صلى الله عليه وسلم

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكَّر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فهلم إلي ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول – فيما بلغني – : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل :) إذا

تتلى عليه آياتنا قال أســـاطير الأولين) . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

▲ قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : ســـلاهم عن محمد ، وصـــفا لهم صـــفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقالت لهما أحبار يهود : ســلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرســل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وســـلوه عن رجل طواف قد بلغ مشـــارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وســـلوه ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبي ، وإن لم يفعل ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضـــر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شـــمس بن عبد مناف بن قصـــي حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشـــر قريش ، قد جئناكم بفصـــل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسـألـه عن أشـياء أمرونا بها ، فإن

أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فرَوْا فيه رأيكم .

▲ قريش تسأل والرسول يجيب

فجاءوا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصـــة عجب ؛ وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشـارق الأرض ومغاربها ؛ وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ قال : فقال لهم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : أخبركم بما سألتم عنه غدا ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما يذكرون – خمس عشرة ليلة لا يحُدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمدا غدا ، واليوم خمس عشـرة ليلة ، قد أصـبحنا منها لا يخبرنا بشـيء مما سـألناه عنه ، وحتى أحزن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مُكْث الوحي عنه ، وشـق عليه ما يتكلم به أهل مكة : ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما ســألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

▲ الرد على قريش فيما سألوه

قال ابن إسـحاق : فذكر لي أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبســت عني يا جبريل حتى سُـؤت ظنا ؛ فقال له جبريل :) وما نتنـــزَّل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نســيا (. فافتتح الســورة تبارك

وتعالى بحمده وذكر نبوة رسـوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال :) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب (يعني محمدا صـلى الله عليه وسلم ، إنك رسول مني : أي تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك .) ولم يجعل له عوجا قيما (أي معتدلا ، لا اختلاف فيه .) لينذر بأسـا شـديدا من لدنه (: أي عاجل عقوبته في الدنيا . وعذابا أليما في الآخرة : أي من عند ربك الذي بعث رسولا .) ويـبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، ماكثين فيه أبدا (: أي دار الخلد . (لا يموتون فيها) الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال .) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (يعني قريشا في قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهي بنات الله .) ما لهم به من علم ولا لآبائهم (الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم .) كبرت كلمة تخرج من أفواههم (: أي لقولهم : إن الملائكة بنات الله .) إن يقولون إلا كذبا ، فلعلك باخع نفسـك (يا محمد) على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم : أي لا تفعل .

قال ابن هشـام : باخع نفسـك ، أي مهلك نفسـك ، فيما حدثني أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشيء نحَتْه عن يديه المقادرُ

وجمعه : باخعون وبخعة . وهذا البيت في قصـيدة له . وتقول العرب : قد بخعت له نصحي ونفسي ، أي جهدت له .) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (.

قال ابن إســــحاق : أي أيهم أتبع لأمري ، وأعمل بطاعتي .) وإنا لجاعلون ما عليها صـعيدا جرزا (: أي الأرض ، وإن ما عليها لفان وزائل ، وإن المرجع إلي ، فأجزي كلا بعمله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا :

كأنه بالضحى ترمي الصعيد به * دبَّابة في عظام الرأس خرطومُ

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضا : الطريق . وقد جاء في الحديث : إياكم والقعود على الصـــــعدات . يريد الطرق . والجرز : الأرض التي لا تنبت شيئا ، وجمعها : أجراز . ويقال : سنة جرز ، وســـنون أجراز ، وهي التي لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جُدوبة ويُبْس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلا :

طوى النحز والأجراز ما في بطونها * فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له .

▲ ما أنزله الله في قصة أهل الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال :) أم حســـبت أن أصـــحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (: أي قد كان من آياتي فيما وضـــعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشـــام : والرقيم : الكتاب الذي رُقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العجاج :

ومستقر المصحف المرقَّمِ*

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إســحاق : ثم قال تعالى :) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشــدا . فضــربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (. ثم قال تعالى :) نحن نقص عليك نبأهم بالحق (: أي بصـــدق الخبر عنهم) إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب الســـماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذا شــططا (: أي لم يشــركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشــام : والشــطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشــى بني قيس بن ثعلبة :

لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتلُ

وهذا البيت في قصيدة له .

) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين (.

قال ابن إسحاق : أي بحجة بالغة .

) فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشــر لكم ربكم من رحمته ، ويهيئ لكم من

أمركم مرفقا . وترى الشـمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم في فجوة منه (.

قال ابن هشـام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حجر :

وإني زعيم إن رجعت مملكا * بسير ترى منه الفُرانق أزورا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزحف الكليبي يصف بلدا :

جأب المندَّى عن هوانا أزورُ * يُنضي المطايا خمسه العَشَنْزَرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . و) تقرضهم ذات الشمال (: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعْن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهنّ الفوارسُ

وهذا البيت في قصـيدة له . والفجوة : السـعة ، وجمعها : الفجاء . قال الشاعر :

ألبست قومك مخزاة ومنقصة * حتى أُبيحوا وخلوا فجوة الدارِ

) ذلك من آيات الله (أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، ممن أمر هؤلاء بمسـألتك عنهم في صـدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم .

) من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضـلل فلن تجد له وليا مرشـدا . وتحسـبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشـمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد (.

قال ابن هشـام : الوصـيد : الباب . قال العبسـي ، واسـمه عُبيد بن وهب :

بأرض فلاة لا يسد وصيدها * علي ومعروفي بها غير منكر

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضا : الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووصد ، ووصدان ، وأصد ، وأصدان .

) لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، ولملئت منهم رعبا (إلى قوله :) قال الذين غلبوا على أمرهم (أهل السلطان والملك منهم :) لنتخذن عليهم مسجدا ، سيقولون (يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم :) ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب (: أي لا علم لهم .) ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا (: أي لا تكابرهم .) ولا تستفت فيهم منهم أحدا (فإنهم لا علم لهم بهم .

) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (: أي ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا : إني مخبركم غدا . واستثن شِيئَةَ الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتموني عنه رشدا ، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك .) ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا (: أي سيقولون ذلك .) قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السماوات والأرض ، أبصر به وأسمعْ ما لهم من دونه من ولي ، ولا يشرك في حكمه أحدا (أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .

ما أنزل الله تعالى في خبر الرجل الطواف ذي القرنين

وقال فيما سـألوه عنه من أمر الرجل الطواف :) ويسـئلونك عن ذي القرنين ، قل سـأتلو عليكم منه ذكرا . إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا . فأتبع سببا (حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

خبر ذي القرنين

وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحد غيره ، فمدت له الأسـباب حتى انتهى من البلاد إلى مشـارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضـا إلا سـلط على أهلها ، حتى انتهى من المشـرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسـحاق : فحدثني من يسـوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصـر ، اسـمه مرزُبان بن مرذبة اليوناني ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ، وهو الذي بنى الإسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسـحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي ، وكان رجلا قد أدرك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سـمع عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنين ؛ فقال عمر : اللهم غفرا ، أما رضـيتم أن تسـمَّوْا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة .

قال ابن إسـحاق : الله أعلم أي ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

▲

ما أنزل الله تعالى في أمر الروح

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح :

(ويســـــألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

سؤال يهود المدينة للرسول صلى الله عليه و سلم عن المراد من قوله تعالى : (و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

قال ابن إسـحاق : وحُدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسـول الله صـــلى الله عليه وســـلم المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك :

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

إيانا تريد ، أم قومك؟ قال : كلا ؛ قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه .

قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك :

) ولو أن ما في الأرض من شـــــجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم (

: أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

▲

ما أنزل الله تعالى بشأن طلبهم تسيير الجبال وبعث الموتى

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما ســـأله قومه لأنفســـهم من تســـيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضـى من آبائهم من الموتى :

) ولوأن قرآنا سُـــيرِّت به الجبال ، أو قُطعت به الأرض ، أو كُلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا (: أي لا أصـنع من ذلك إلا ما شـئت .

▲

ما أنزل الله تعالى رداً على قولهم للرسول صـلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك

وأُنزل عليه في قولهم : خذ لنفسـك ، ما سـألوه أن يأخذ لنفسـه ، أن يجعل له جنانا وقصـورا وكنوزا ، ويبعث معه ملكا يصـدقه بما يقول ، ويرد عنه :

) وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يُلقى إليه كنـــــز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مســـحورا . أنُظر كيف ضـربوا لك الأمثال فضـلوا فلا يسـتطيعون سـبيلا ، تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك (

: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش) جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويجعلْ لك قصورا (.

لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لفعلت

وأُنزل عليه في ذلك من قولهم :) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيرا (

: أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخُالَفوا لفعلت .

▲

القرآن يرد على ابن أبي أمية

وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبي أمية :) وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (.

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه : ينابيع . قال ابن هَرْمة ، واسمه إبراهيم بن علي الفهري .

وإذا هرقت بكل دار عبرة * نُزف الشئون ودمعك الينبوع

وهذا البيت في قصيدة له . والكسف : القطع من العذاب ، وواحدته : كسفة ، مثل سدرة وسدر . وهي أيضا : واحدة الكسف . والقبيل : يكون مقابلة ومعاينة ، وهو كقوله تعالى :

) أو يأتيهم العذاب قبلا (: أي عيانا . وأنشدني أبو عبيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها * كصرخة حُبْلى يسَّرتها قبيلُها يعني القابلة ، لأنها تقابلها وتقبل ولدها . وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : القبيل : جمعه قُبُل ، وهي الجماعات ، وفي كتاب الله تعالى :) وحشرنا عليهم كل شيء قبلا (فقُبل : جمع قبيل ، مثل سبل : جمع سبيل ، وسرر : جمع سرير ، و قمص : جمع قميص . والقبيل أيضا : في مثل من الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قبيلا من دبير : أي لا يعرف ما أقبل مما أدبر ؛ قال الكميت بن زيد :

تفرقت الأمور بوجهتيهم * فما عرفوا الدَّبير من القَبيلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا القبيل : الفتل ، فما فتل إلى الذارع فهو القبيل ، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت . ويقال : فتل المغزل . فإذا فُتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا فتل إلى الورك فهو الدبير . والقبيل أيضا : قوم الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

من طلل أمسى تخال المصحفا * رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان في أرجوزة له ، ويقال أيضا لكل مزيَّن : مزخرف .

نفي القرآن أن رجلا من اليمامة يعلمه

قال ابن إسحاق : وأُنزل في قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبدا :) كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت ، وإليه متاب (.

ما أنزله الله تعالى في أبي جهل و ما هم به

وأُنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام ، وما هم به :) أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب (.

قال ابن هشام : لنسفعا : لنجذبن ولنأخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم * من بين ملجم مُهْره أو سافع

والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم ، وفي كتاب الله تعالى :) وتأتون في ناديكم المنكر (وهو الندي . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإن من بني أسد * أهل الندي وأهل الجود والنادي

وفي كتاب الله تعالى :) وأحسن نديا (. وجمعه : أندية . فليدع أهل ناديه . كما قال تعالى :) واسأل القرية (يريد أهل القرية . قال سلامة ابن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان يومُ مقامات وأندية * ويوم سير إلى الأعداء تأويبِ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :
لا مهاذير في النديّ مكاثيرَ ولا مصمتين بالإفحامِ*
وهذا البيت في قصـــيدة له . ويقال : النادي : الجلســـاء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم في هذا الموضـع : خزنة النار . والزبانية أيضـا في الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد : زِبْنِية .
قال ابن الزبعرى في ذلك :
مطاعيمُ في المقرى مَطاعين في الوغى * زبانية غلب عظام حلومها
يقول : شـــداد . وهذا البيت في أبيات له . وقال صـــخر بن عبدالله الهذلي ، وهو صخر الغي :
ومن كبير نفر زبانية*
وهذا البيت في أبيات له .

ما أنزله تعالى فيما عرضـــوه عليه ، عليه الصـــلاة و الســـلام من أموالهم

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم :) قل ما ســـألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجري إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد (.

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم

فلما جاءهم رســول الله صــلى الله عليه وســلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صـــدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم

الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصـــديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أي اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

▲ تهكم أبي جهل بالرسول صلى الله عليه و سلم و تنفير الناس عنه

فقال أبو جهل يوما و هو يهزأ برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار و يحبسـونكم فيها تسـعة عشـر ، وأنتم أكثر الناس عددا ، وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : ﴿ وما جعلنا أصـــحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ إلى آخر القصـــة ، فلما قال ذلك بعضـهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بالقرآن وهو يصـلي ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يسـتمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يسـتمع من رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصـلي ، اسـترق السـمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يسـتمع ، وإن خفض رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم صوته ، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه .

سبب نزول آية : (و لا تجهر ... الخ)

قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبدالله بن عباس رضـــي الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية :) ولا تجهر بصـــــلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك ســـبيلا (من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصــــلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها فلا يســـمعها من يحب أن يسـمعها ممن يسـترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

- أول من جهر بالقرآن
- عبدالله بن مسعود و ما ناله من قريش في سبيل جهره بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبدالله ابن مســـعود رضـــي الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصـــحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فقالوا : والله ما سـمعت قريش هذا القرآن يجُهر لها به قط ، فمن رجل يُســـمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسـعود : أنا ؛ قالوا : إنا نخشـاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشـيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال : دعوني فإن الله سيمنعني .

قال : فغدا ابن مســـعود حتى أتى المقام في الضــــحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قرأ : (بســـم الله الرحمن الرحيم) رافعا بها صـــوته) الرحمن علم القرآن (قال : ثم اســـتقبلها يقرؤها .

قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضـــربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ .

ثم انصــرف إلى أصـــحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ، ولئن شــئتم لأغادينهم بمثلها غدا ؛ قالوا : لا ، حســبك ، قد أســمعتهم ما يكرهون .

▲ قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

أبو ســـفيان و أبو جهل و الأخنس ، و حديث اســـتماعهم للرســـول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إســـحاق : وحدثني محمد بن مســـلم بن شـــهاب الزهري أنه حدث : أن أبا سـفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشــام ، والأخنس بن شــــريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلســـا يســـتمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صـــاحبه ، فباتوا يســـتمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضـــهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفســه شـيئا ، ثم انصـرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فقال بعضـــــهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصـــــرفوا . حتى إذا كانت الليلة

الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلســـه ، فباتوا يســـتمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود : فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

▲

ذهاب الأخنس إلى أبي سفيان يستفهم عما سمعه

فلما اصــبح الأخنس بن شــريق أخذ عصــاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سـفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سـمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد ســـمعت أشـــياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وســمعت أشــياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها ؛ قال الأخنس : وأنا والذي حلفتَ به كذلك .

▲

ذهاب الأخنس إلى أبي جهل يسأله عن معنى ما سمع

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشـــرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذبنا على الركب ، وكنا كفرسَيْ رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ؛ فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

▲

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عله وسلم إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزءون به :) قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه (لا نفقه ما تقول) وفي آذاننا وقر (لا نسمع ما تقول) ومن بيننا وبينك حجاب (قد حال بيننا وبينك) فاعمل (بما أنت عليه) إننا عاملون (بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم :) وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (... إلى قوله) وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (: أي كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة ، و في آذانهم وقرا ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أي إني لم أفعل ذلك .) نحن أعلم بما يستعمون به ، إذ يستمعون إليك ، وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (: أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم .) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (: أي أخطئوا المثل الذي ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول) وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (: أي قد جئت تخبرنا أنا سنُبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا ، وذلك ما لا يكون .) قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من

يعيدنا ، قل الذي فطركم أول مرة) : أي الذي خلقكم مما تعرفون ، فليس خَلْقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إســحاق : حدثني عبدالله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى :) أو خلقا مما يكبر في صدوركم (ما الذي أراد الله به ؟ فقال : الموت .

▲ ذكر عدوان المشــركين على المســتضــعفين ممن أسـلم بالأذى والفتنة

▲ قسوة قريش على من أسلم

قال ابن إســحاق : ثم إنهم عدوا على من أســلم ، واتبع رســول الله صـلى الله عليه وسـلم من أصــحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المســلمين ، فجعلوا يحبســونهم ، ويعذبونهم بالضــرب والجوع والعطش ، وبرمضــاء مكة إذا اشــتد الحر ، من اســتضــعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفتن من شــدة البلاء الذي يصــيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

▲ ما لقيه بلال بعد إسلامه ، وتخليص أبي بكر له

وكان بلال ، مولى أبي بكر رضـــي الله عنهما ، لبعض بني جمح ، مولَّدا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اســـم أمه حمامة ، وكان صـــادق الإســلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخُرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصــخرة العظيمة فتوضــع على صــدره ،

ثم يقول لـه : لا و الله لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ؛ فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصـــنع ذلـك بـه من بني جمح ، فيقول : أحلف بـالله لئن قتلتموه على هـذا لأتخذنه حنانا ، حتى مر به أبو بكر الصـديق ابن أبي قحافة رضـي الله عنه يوما ، وهم يصـنعون ذلك به ، وكانت دار أبي بكر في بني جمح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسـكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذي أفســـدته فأنقذه مما ترى ؛ فقال أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسـود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ؛ قال : قد قبلت ، فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصـديق رضـي الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

▲ من أعتقهم أبو بكر مع بلال

ثم أعتق معه على الإسـلام قبل أن يهاجر إلى المدينة سـت رقاب ، بلال سابعهم

- عامر بن فهيرة ، شـــهد بدرا وأُحدا ، وقتل يوم بئر معونة شهيدا ؛
- وأم عُبيس

- وزِنّيرة ، وأصـــيب بصـــرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت : كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ، فرد الله بصرها .
- وأعتق النهدية وبنتها ، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهي تقول : والله لا أعتقكما أبدا ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : حل يا أم فلان؛ فقالت : حل ، أنت أفســـدتهما فأعتقهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قال : بكذا وكذا ؛ قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال : وذلك إن شئتما .

ومر بجارية بني مؤمل ، حي من بني كعب ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول : كذلك فعل الله بك . فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

▲ أبو قحافة يلوم أبا بكر لعتقه من أعتق فرد عليه

قال ابن إســـحاق : وحدثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبدالله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبي بكر : يا بني ، إني أراك تعتق رقابا ضـــعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضـي الله عنه : يا أبت ، إني إنما أريد ما أريد ، لله عز وجل . قال : فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما

قال له أبوه :) فأما من أعطى واتقى وصـــدق بالحســـنى (... إلى قوله تعالى :) وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى (.

▲ تعذيب قريش لآل ياسر ، و تصبير رسول الله صلى الله عليه و سلم لهم

قال ابن إســـحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياســـر ، وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إســـلام ، إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضـــاء مكة ، فيمر بهم رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم فيقول ، فيما بلغني : صـــبرا آل ياســـر ، موعدكم الجنة . فأما أمه فقتلوها ، وهي تأبى إلا الإسلام .

▲ ما كان يعذب به أبو جهل من أسلم

وكان أبو جهل الفاســـق الذي يُغري بهم في رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أنَّبه وأخزاه . وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولَنُفيِّلَنّ رأيك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجرا قال : والله لنُكسدنّ تجارتك ، ولنهلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

▲ فتنة المسلمين

قال ابن إســـحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشـــركون يبلغون من أصـــحاب رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضـــربون أحدهم ويجُيعونه

ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له ؛ آللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجُعَل ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده .

▲ هشام يرفض تسليم أخيه الوليد إلى قريش ليقتلوه على إسلامه ، و شعره في ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبدالله بن أبي أحمد أنه حُدث أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . قال : فقالوا له وخشوا شرهم : إنا قدا أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا ، فإنا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به ، فعاتبوه وإياكم ونفسه ، وأنشأ يقول :

ألا لا يُقتلنّ أخي عُييس* فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه ، فأُقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا . قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يُغرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقُتل أشرفنا رجلا . قال : فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

- ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
- إشارة رسول الله صلى الله عليه و سلم على أصحابه بالهجرة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُصيب أصـــحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشــة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسـلمون من أصــحاب رسـول الله صــلى الله عليه وســلم إلى أرض الحبشـــة ، مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

- أوائل المهاجرين إلى الحبشة

- وكـان أول من خرج من المســـلمين من بني أميـة بن عبد شـمس بن عبد مناف ابن قصـي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غـالـب بن فهر : عثمـان بن عفـان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم .
- ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شــمس ، معه امرأته : ســهلة بنت ســهيل بن

عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، ولدت له بأرض الحبشـــة محمد بن أبي حذيفة .

- ومن بني أسد بن عبدالعزى بن قصـي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
- ومن بني عبدالدار بن قصـي : مصـعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار .
- ومن بني زهرة بن كلاب : عبـدالرحمن بن عوف بن عبـد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة .
- ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سـلمة بن عبدالأسـد بن هلال بن عبـدالله بن عمر بن مخزوم ، معـه امرأتـه أم ســـلمـة بنـت أبي أميـة بن المغيرة بن عبـدالله بن عمر بن مخزوم .
- ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .
- ومن بني عـدي بن كعـب : عـامر بن ربيعـة ، حليف آل الخطاب ، من عنـــز بن وائل – قال ابن هشام : و يقال : من عنـــــزة بن أسـد بن ربيعة – معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب .
- ومن بني عامر بن لؤي : أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبدالعزى بن أبي قيس ابن عبد وُدّ بن نصـــر بن مالك بن حســل بن

عامر ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصــــر بن مالك بن حســـل بن عامر بن لؤي ؛ ويقال : هو أول من قدمها .

- ومن بني الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ، و هو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضبة بن الحارث .

فكان هؤلاء العشـرة أول من خرج من المسـلمين إلى أرض الحبشـة ، فيما بلغني .

- قال ابن هشـام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .
- قال ابن إســحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضــي الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفســـه لا أهل له معه .

▲ المهاجرون من بني هاشم إلى أرض الحبشة

- و من بني هاشــم بن عبد مناف بن قصــي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ، معه امرأته أسماء بنت عُميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن جعفر ، رجل .

▲ المهاجرون من بني أمية إلى أرض الحبشة

ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف :

- عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شــــمس ، معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
- وعمرو بن ســــعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صــفوان بن أمية بن محرث بن خُمْل بن شــقّ بن رقبة بن مخُدج الكناني ،
- وأخوه خالد بن سـعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : همُينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمه بنت خـالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت لـه عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

▲ المهاجرون من بني أسد إلى أرض الحبشة

ومن حلفائهم ، من بني أسد بن خزيمة :

- عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صـــــبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛
- وأخوه عبيد الله بن جحش ، معـه امرأتـه أم حبيبـة بنـت أبـي سفيان بن حرب بن أمية ؛

- وقيس بن عبدالله ، رجل من بني أسد بن خزيمة ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ؛
- ومعيقيب بن أبي فاطمة . وهؤلاء آل سـعيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام :

- ومُعيقيب من دوس .

المهاجرون من بني عبد شمس إلى الحبشة

قال ابن إسحاق : ومن بني عبد شمس بن عبد مناف ،

- أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس ؛
- وأبو موسى الأشعري ، واسمه عبدالله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بني نوفل إلى الحبشة

- ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بني أسد إلى الحبشة

- ومن بني أسد بن عبدالعزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ،
- والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ،

- ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ،
- وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

▲

المهاجرون من بني عبد بن قصي إلى الحبشة

- ومن بني عبد بن قصي : طُليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ، رجل .

▲ المهاجرون من بني عبدالدار بن قصي إلى الحبشة

ومن بني عبدالدار بن قصي :

- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ؛
- وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُميلة بن السباق ابن عبدالدار ؛
- وجهم بن قيس بن عبد شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبدالدار ،
- معه امرأته أم حرملة بنت عبدالأسود بن جذيمة بن أقيش ابن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو ،
- من خزاعة ؛ وابناه : عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ؛
- وأبو الروم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ؛
- وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار ، خمسة نفر .

▲

المهاجرون من بني زهرة إلى الحبشة

ومن بني زهرة بن كلاب :

- عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن زهرة ؛
- وعامر بن أبي وقاص
- وأبو وقاص ، مالك بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة ؛
- والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ،
- معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سعد بن سهم ،
- ولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن المطلب .

المهاجرون من بني هذيل إلى الحبشة

ومن حلفائهم من هذيل :

- عبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ،
- وأخوه : عتبة بن مسعود .

المهاجرون من بهراء إلى الحبشة

ومن بهراء :

- المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤي بن ثعلبة بن

مالك بن الشـــــريد ابن أبي أهوز بن أبي فائش بن دُريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هزل بن فاس بن ذر ، ودَهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ،

- وذلك أنه تبناه في الجاهلية ، وحالفه ستة نفر .

المهاجرون من بني تيم إلى الحبشة

ومن بني تيم بن مرة :

- الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ،
- معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبلة بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم ،
- ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ،
- وعائشة بنت الحارث ،
- وزينب بنت الحارث ،
- وفاطمة بنت الحارث ،
- وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن ســـــعد بن تيم ، رجلان .

المهاجرون من بني مخزوم إلى الحبشة

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة :

- أبو ســـلمة بن عبدالأســـد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ،
- ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ،
    - ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ،
    - واسم أبي سلمة : عبدالله ، واسم أم سلمة : هند ،
- وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هَرْمي بن عامر بن مخزوم .

خبر الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماسا ، لأن شماسا من الشمامسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شـــماس : أنا آتيكم بشـــماس أحســـن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمي شماسا . فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق :

- وهبار بن سفيان بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم ؛
- وأخوه عبدالله بن سفيان ؛
- وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم ؛
- وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛

- وعيـاش بن أبي ربيعـة بن المغيرة بن عبـدالله بن عمر بن مخزوم .

▲ المهاجرون من حلفاء بني مخزوم إلى الحبشة

ومن حلفائهم :

- معتب بن عوف بن عمر بن الفضل بن عفيف بن كليب ابن حبشـــية بن ســـلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يقال له : عَيْهامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حُبشية بن سلول ، وهو الذي يقال له معتب بن حمراء .

▲ المهاجرون من بني جمح إلى الحبشة

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب :

- عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ؛
- وابنه السائب بن عثمان ؛
- وأخواه قدامة بن مظعون ،
- وعبدالله بن مظعون ؛
- وحاطب بن الحارث بن معمر ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ،
- معه امرأته فاطمة بنت المجلَّل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- وابناه : محمد بن حاطب ،
- والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلل ؛

- وأخوه حطاب بن الحارث ،
- معه امرأته فكيهة بنت يسار ؛
- وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ،
- معه ابناه : جابر بن سفيان ،
- وجنادة بن سفيان ،
- ومعه امرأته حسنة ، وهي أمهما ،
- وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشـام : شـرحبيل بن عبدالله أحدُ الغوث بن مر ، أخي تميم بن مر .

قال ابن إسحاق :

- وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد عشر رجلا .

من هاجر إلى الحبشة من بني سهم

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ،

- خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- وعبدالله بن الحارث بن قيس ابن عدي بن سعد بن سهل ،
- وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق :

- وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛

- وعبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- والحارث بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- وبشر بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ؛
- وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛
- وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم .
- ومحَمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بني زبيد ،

أربعة عشر رجلا .

▲ المهاجرون من بني عدي إلى الحبشة

ومن بني عدي بن كعب :

- معمر بن عبدالله بن نضلة بن عبدالعزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي ؛
- وعروة بن عبدالعزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي ؛
- وعدي بن نضلة بن عبدالعزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي ؛
- وابنه النعمان بن عدي ؛
- وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل،
- معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم .

خمسة نفر .

▲ المهاجرون من بني عامر إلى الحبشة

ومن بنـي عامر بن لؤي :

- أبو سـبرة ابن أبي رهم بن عبدالعزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ،
- معه امرأته أم كلثوم بنت سـهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- وعبدالله بن مخرمـة بن عبدالعزى بن أبي قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ،
- وعبدالله بن سـهيل بن عمرو بن عبد شـمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- وسـليط بن عمرو بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصـر بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- وأخوه السكران بن عمرو ،
- معه امرأته سـودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- ومالك بن زمعة ابن قيس بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ،
- معه امرأته عمرة بنت السـعدي بن وقدان بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛

- وحاطب بن عمرو بن عبد شـمس بن عبد ود بن نصـر بن مالك بن حسل بن عامر ؛
- وسعد بن خولة ، حليف لهم .

ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بني الحارث إلى الحبشة

قال ابن إسحاق : ومن بني الحارث بن فهر :

- أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ؛
- وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسـب إليها ، وهي دعد بنت جحدم بن أمية من ظرب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى بيضاء ؛
- وعمرو بن أبي سـرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضـبة بن الحارث ؛
- وعياض بن زهير بن أبي شـداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضـبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ؛
- وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ؛

- وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شـــداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ؛
- وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ؛
- والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر .

ثمانية نفر .

عدد مهاجري الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشـــة ، وهاجر إليها من المســلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

شعر عبدالله بن الحارث في الهجرة إلى الحبشة

وكان مما قيل من الشـــعر في الحبشـــة ، أن عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النجاشــي ، وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا ، وقد أحسـن النجاشي جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكبا بلغن عني مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدينِ
كل امرىء من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ي * في الممات وعيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله واطَّرحوا * قول النبي وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا * وعائذا بك ان يعلوا فيُطغوني

وقال عبدالله بن الحارث أيضـا ، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه في ذلك :

أبت كبدي ، لا أكذبنك ، قتالهم * علي وتأباه علي أناملي
وكيف قتالي معشرا أدبوكم * على الحق أن لا تأشبوه بباطل
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم * فأضحوا على أمر شديد البلابل
فإن تك كانت في عدي أمانة * عدي بن سعد عن تُقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم * بحمد الذي لا يُطَّبى بالجعائل
وبُدلت شبلا شبل كل خبيثة * بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

وقال عبدالله بن الحارث أيضا :

وتلك قريش تجحد الله حقه * كما جحدت عاد ومدين والحِجْرُ
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنَّني * من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد * أُبين ما في النفس إذ بُلغ النقر

فَسُـمِّي عبدالله بن الحارث – يرحمه الله – لبيته الذي قال : (المبرق) .

شعر عثمان بن مظعون في ذلك

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو ابن عمه ، وكان يؤذيه في إسـلامه ، وكان أمية شـريفا في قومه في زمان ذلك :

أتيمَ بن عمرو للذي جاء بِغضة * ومن دونه الشرمان والبرك أكتعُ
أألخرجتني من بطن مكة آمنا * وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يُواتيك ريشُها * وتبري نبالا ريشها لك أجمع
وحاربتَ أقواما كراما أعزة * و أهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوما ملمة * وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع
وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه تيما .

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها
**

من أرسلتهما قريش في طلب المهاجرين

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبي طالب للنجاشي يحضه على الدفع عن المهاجرين

فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم :
ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الأقارب

وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم ، أبيت اللعن ، أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب

وأنك فيض ذو سجال * غزيرة ينال الأعادي نفعها والأقارب

▲ حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

قالت :

لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمِنَّا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ؛ فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك

- عبدالله بن أبي ربيعة ،
- وعمرو بن العاص ،

وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ،

ثم قدما إلى النجاشــي هداياه ، ثم ســلاه أن يســلمهم إليكما قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشـــي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم :

"إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشـــراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشـيروا عليه بأن يسـلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ،

ثم كلماه فقالا له :

"أيها الملك ، إنه قد ضـوى إلى بلدك منا غلمان سـفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشـــراف قومهم من آبائهم وأعمامهم و عشـــائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شـــيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي .

قالت : فقالت بطارقته حوله : صـــــدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم فأســـــلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سـواي ، حتى أدعوهم فأســـألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أســـــلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

▲ الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي

قالت : ثم أرســـل إلى أصـــحاب رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ،

قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟

قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشـي أسـاقفته ، فنشـروا مصـاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له :

"أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصـنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسـيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ؛ فكنا على ذلك ،

حتى بعث الله إلينا رسولا منا ،

نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ،

فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ،

ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ،

ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ؛

وأمرنا أن نعبدالله وحده ، لا نشرك به شيئا ،

وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – قالت : فعدد عليه أمور الإسلام – فصـدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نسـتحل ما كنا نسـتحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضـيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سـواك ؛ ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟
قالت : فقال له جعفر : نعم ؛
فقال له النجاشـــي : فاقرأه علي ؛ قالت : فقرأ عليه صـــدرا من : (كهيعص) . قالت : فبكى والله النجاشـــي حتى اخضـــلَّت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم .
ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

رأي المهاجرين في عيسى عليه السلام أمام النجاشي

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لاتفعل ، فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيســـى بن مريم عبد .
قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .
قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه .
قالت : ولم ينـــزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيســـى بن مريم إذا ســـألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائنا في ذلك ما هو كائن .

قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيســى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صــلى الله عليه وســلم ، يقول : هو عبدالله ورســوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضــرب النجاشــي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شُــيوم بأرضــي – والشــيوم : الآمنون – مَن سـبَّكم غرم ، ثم قال : من سـبكم غرم ، ثم قال : من ســبكم غرم . ما أحب أن لي دبرا من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم – قال ابن هشـــام : ويقال دبرا من ذهب ، ويقال : فأنتم ســـيوم ، والدبر : بلسان الحبشة : الجبل – ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشـــوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

▲ المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي على عدوه

قالت : فوالله إنا لعلي ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشـــة ينازعه في ملكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حزنًا حزنا قطُّ كان أشـــد علينا من حزن حزنَّاه عند ذلك ، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشـــي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت : وســـار إليه النجاشـــي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟

قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ،

قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سنا .

قالت : فنفخوا له قربة فجعلها في صـدره ، ثم سـبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضـــرهم .

قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشـي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده .

قالت : فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ،

إذ طلع الزبير وهو يسـعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشـروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده .

قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها .

قالت : ورجع النجاشـــي ، وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده ، واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير مـنـزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D8%A8%D9%86%20%D9%87%D8%B4%D8%A7%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%D8%A8%D9%80%20%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9%C2%BB%20**/i109&n21&p1#TOP

▲ قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي ، وتملك عمه

قال ابن إســحاق : قال الزهري : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر ابن عبدالرحمن ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرشــوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشــوة فيه ، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ؛ قال : فإن عائشـة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشــي ، وكان للنجاشــي عم ، له من صـلبه اثنا عشـر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشـة ، فقالت الحبشــة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشــي وملَّكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صــلبه اثني عشــر رجلا ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشــة بعده دهرا ؛ فغدوا على أبي النجاشــي فقتلوه ، وملَّكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا .

▲ الحبشة تبيع النحاشي

ونشـأ النجاشــي مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منـزلة ؛ فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمـه ، وإنـا لنتخوف أن يملِّكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه .

فمشـــوا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خفناه على أنفســــنا ؛ قال : ويلكم ! قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجه من بلادكم .

قالت : فخرجوا به إلى الســـوق ، فباعوه من رجل من التجار بســـت مئة درهم ؛ فقذفه في ســـفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشـــي من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته . قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فإذا هو محمَّق ، ليس في ولده خير ، فمرج على الحبشة أمرهم .

▲ تولية النجاشي الملك برضا الحبشة

فلما ضـاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضـهم لبعض : تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتم غدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن .

قالت : فخرجوا في طلبه ، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ؛ ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملكوه .

▲ حديث التاجر الذي ابتاع النجاشي

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إما أن تعطوني مالي ، وإما أن أكلمه في ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك شـــيئا ، قال : إذن والله أكلمه ؛ قالوا : فدونك وإياه .

قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسلموا إلي غلامي وأخذوا دراهمي

، حتى إذا ســـرت بغلامي أدركوني ، فـأخـذوا غلامي ، ومنعوني دراهمي . قالت : فقال لهم النجاشـــي : لتُعطنَّه دراهمه ، أو ليضـــعن غلامه يده في يده ، فليذهبن به حيث شاء ؛ قالوا : بل نعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله مني رشـــوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشـــوة فيه ، وما أطاع الناس فيّ فأُطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه ، وعدله في حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشـــة ، قالت : لما مات النجاشـــي ، كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

▲ إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إســـحـاق : وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيـه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسـل إلى جعفر وأصـحابه ، فهيأ لهم سـفنا ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمتُ فامضـوا حتى تلحقوا بحيث شـئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا .

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشـــهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورســوله ، ويشـــهد أن عيســـى بن مريم عبده ورســوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفُّوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؛ قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت

أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ؛ فقال النجاشـي ، ووضـع يده على صـدره على قبائه : هو يشـهد أن عيسـى بن مريم ، لم يزد على هذا شـيئا ، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا عنه . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له .

- إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- اعتزاز المسلمين بإسلام عمر

قال ابن إسـحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، وردَّهما النجاشـي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شـكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وبحمزة حتى عازُّوا قريشـا ، وكان عبدالله بن مسـعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصـلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصـلينا معه ،وكان إسـلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي ، قال : حدثني مسـعر بن كدام ، عن سـعد بن إبراهيم ، قال : قال عبدالله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصـرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصـلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .

▲ حديث أم عبدالله بنت أبي حثمة عن إسلام عمر

قال ابن إســــحاق : حدثني عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبدالله بنت أبي حثمة ، قالت :

و الله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشــــة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه – قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا – قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبدالله .

قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجا . قالت : فقال : صـــحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه – فيما أرى – خروجنا .

قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبدالله ، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعتِ في إســـلامه ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فلا يسلم الذي رأيتِ حتى يسلم حمار الخطاب ؛ قالت : يأسا منه ، لما كان يُرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

▲ سبب إسلام عمر

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سـعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نُعيم بن عبدالله النحَّام من مكة ، رجل من قومه ، من بني عدي ابن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من

قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان أقام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نعيم بن عبدالله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ ، الذي فرَّق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل بيتي ؟ قال : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما .

قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها :) طه (يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم ، أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنَمة

التي ســـمعت ؟ قالا له : ما ســـمعت شـــيئا ؛ قال : بلى والله ، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضـــــربها فشـــجها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم لقد أســـلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صـنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصـــحيفة التي ســـمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ؛ فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لا تخافي ، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك ، طمعت في إســـلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نجس ، على شـركك ، وإنه لا يمســـها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتســـل ، فأعطته الصـــحيفة ، وفيها :) طه (. فقرأها ؛ فلما قرأ منها صـدرا ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج عليه ، فقال له : يا عمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصـــــك بدعوة نبيه ، فإني ســـــمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإســـلام بأبي الحكم بن هشـــام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر . فقال لـه عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم ؛ فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصـــحابه ، فأخذ عمر ســـيفه فتوشـــحه ، ثم عمد إلى رســـول الله صـلى الله عليه وسلم وأصـحابه ، فضـرب عليهم الباب ؛ فلما سـمعوا صـــوته ، قام رجل من أصـــحاب رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ،

فنظر من خَلل الباب فرآه متوشــحا الســيف ، فرجع إلى رســول الله صـلى الله عليه وسـلم وهو فزع ، فقال : يا رسـول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشــحا الســيف ؛ فقال حمزة بن عبدالمطلب : فأذنْ له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه ؛ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حُجْزته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جَبَذه به جبذة شــديدة ، وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينــزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسـوله ، وبما جاء من عند الله ؛ قال : فكبر رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصــحاب رســول الله صــلى الله عليه وســلم من مكانهم ، وقد عزوا في أنفســهم حين أســلم عمر مع إســلام حمزة ، وعرفوا أنهما ســيمنعان رســول الله صــلى الله عليه وســلم ، وينتصــفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إســلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

▲ ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر

قال ابن إسـحاق : وحدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي ، عن أصـحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عمن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعدا ، وكنت صاحب خمر

في الجاهلية ، أحبها وأســـر بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسـائي أولئك في مجلسـهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا . قال : فقلت : لو أني جئت فلانا الخمَّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها .

قال : فخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أني جئت الكعبة فطفت بها سـبعا أو سـبعين . قال : فجئت المسـجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسـود ، والركن اليماني . قال : فقلت حين رأيته ، والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأروِّعنه ؛ فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي رويدا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبله ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائما في مكاني ذلك ، حتى قضى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن عبدالمطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ،

ثم على دار الأخنس بن شـــريق ، حتى يدخل بيته . وكان مســـكنه صلى الله عليه وسلم في الدار الرقطاء ، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان .

قال عمر رضـــــي الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ؛ فلما سمع رسول اله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني ، ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الســاعة ؟ قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرســـوله ، وبما جاء من عند الله ؛ قال : فحمد اللهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعا لي بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

▲ ذكر ثبات عمر في إسلامه و جلده

قال ابن إســـحاق : وحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أســـلم أبي عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي . قال : فغدا عليه . قال عبدالله بن عمر : فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أني قد أســلمت ، ودخلت في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر ، واتبعت أبي ، حتى إذا قام على باب المســجد صــرخ

بأعلى صـوته : يا معشـر قريش ، وهم في أنديتهم حول الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا .

قال : و يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكني قد أسـلمت ، وشـهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورســوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشـمس على رءوسـهم . قال : وطَلِحَ ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا ؛ قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حلة حِبْـــرَة ، وقميص موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ؛ فقال : فمه ، رجل اختار لنفســه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يُسـلمون لكم صـاحبكم هكذا ! خلوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشــط عنه . قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أســلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أي بُنيّ ، العاص بن وائل السهمي .

قال ابن هشــام : وحدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسـلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيرا . قال : يا بني ، ذلك العاص بن وائل ، لا جزاه الله خيرا .

قال ابن إســحاق : وحدثني عبدالرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أســلمت تلك الليلة ، تذكرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى

آتيه فأخبره أني قد أســـلمت ؛ قال : قلت : أبو جهل – وكان عمر لحنتمة بنت هشـــام بن المغيرة – قال : فأقبلت حين أصـــبحت حتى ضـــربت عليه بابه . قال : فخرج إلي أبو جهل ، فقال : مرحبا وأهلا بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرســوله محمد ، وصــدقت بما جاء به ؛ قال : فضــرب الباب في وجهي وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول

قال ابن إســحاق : فلما رأت قريش أن أصــحاب رسـول الله صــلى الله عليه وسـلم قد نزلوا بلدا أصــابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشــي قد منع من لجـأ إليـه منهم ، وأن عمر قـد أســـلم ، فكـان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسـول الله صــلى الله عليه وسـلم وأصــحابه ، وجعل الإســـلام يفشـــو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشـــم ، و بني المطلب ، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شـــيئـا ، ولا يبتـاعوا منهم ؛ فلمـا اجتمعوا لذلك كتبوه في صـــحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصـــحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفســهم ، وكان كاتبَ الصــحيفة منصــورُ بن عكرمة بن عامر ابن هاشـم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي – قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث – فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشُلّ بعض أصابعه .

من انحاز إلى أبي طالب ومن خرج عنه

قال ابن إســـحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشـــم و بنو المطلب إلى أبي طالب بن عبدالمطلب ، فدخلوا معه في شـــعبه واجتمعوا إليـه ، وخرج من بني هـاشـــم أبو لهـب ، عبدالعزى بن عبدالمطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

▲ تهكم أبي لهب بالرسول صلى الله عليه و سلم ، و ما نزل فيه من القرآن

قال ابن إســحاق : وحدثني حسـين بن عبدالله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشـا ، فقال : يا بنت عتبة ؛ هل نصـــرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة .

قال ابن إســـحاق : وحُدثت أنه كان يقول بعض ما يقول : يعدني محمد أشـياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضـع في يديّ بعد ذلك ؟ ثم ينفخ في يديه ويقول : تبا لكما ، ما أرى فيكما شـــيئا مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى فيه :) تبت يدا أبي لهب وتبَّ (.

قال ابن هشام : تَّبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حبيب بن خُدْرة الخارجي : أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة :

يا طيب إنا في معشر ذهبت * مسعاتهم في التبار والتببِ

وهذا البيت في قصيدة له .

▲ شـعر أبي طالب في تظاهر قريش على الرسـول الله صـلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذي صنعوا . قال أبو طالب :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا * لؤيا وخُصًّا من لؤي بني كعبِ

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خُط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب

وأن الذي ألصقتمُ من كتابكم * لكم كائن نحسا كراغيه السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحُفر الثرى * ويصـــــبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا * أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما * أمرّ على من ذاقه جلب الحرب

فلسنا ورب البيت نُسلم أحمدا * لعزَّاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبنْ منا ومنكم سوالف * وأيد أُترّت بالقُساسية الشهب

بمعترك ضيق ترى كسر القنا * به والنسور الطُخم يعكفن كالشَّرب

كأن مجُال الخيل في حَجَراته * ومعمعة الأبطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهى * إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جُهدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .

▲ أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين

وقد كان أبو جهل بن هشام – فيما يذكرون – لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أســـد ، معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه في الشعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد ، فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ؛ فقال له أبو البختري : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلّ سبيل الرجل ؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البختري لَــحْي بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطأ شديدا ، وحمزة بن عبدالمطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا ، و سرا وجهارا ، مباديا بأمر الله لا يتقي فيه أحدا من الناس .

▲ ذكر ما لقي رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم من قومه من الأذى

▲ ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته حمالة الحطب

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بني هاشم ، وبني المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينـزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سمّى لنا ، ومنهم

من نزل فيـه القرآن في عـامـة من ذكر الله من الكفـار ، فكـان ممن سمّي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبدالمطلب وامرأته أم جميل بنت حرب ابن أمية ، حمالة الحطب ، وإنما سـماها الله تعالى حمالة الحطب ، لأنها كانت – فيما بلغني – تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما

:) تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالةَ الحطب ، في جيدها حبل من مسـد (

.

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

يوم تُبدي لنا قُتيلة عن جيد * أسيل تزينه الأطواقُ

وهذا البيت في قصـيدة له . وجمعه : أجياد . والمسـد : شـجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني ، واسـمه زياد بن عمرو ابن معاوية :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وواحدته : مسدة .

▲ أم جميل امرأة أبي لهب و رد الله كيدها عن الرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسـحاق : فذُكر لي : أن أم جميل : حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وهو جالس في المسـجد عند الكعبة ومعه أبو بكر

الصـــــديق ، وفي يدها فِهْر من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني لشاعرة ، ثم قالت :

مذمما عصينا وأمره أبَيْنا

ودينه قَلَيْنا *

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال : ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

قال ابن هشام : قولها (ودينه قلينا) عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ، ثم يسبونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش ، يسبون و يهجون مذمما ، وأنا محمد .

▲ إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه و سلم

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان إذا رأى رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه :) ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده . يحســـــب أن ماله أخلده . كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة (.

قال ابن هشـام : الهمزة : الذي يشــتم الرجل علانية ، ويكســر عينيه عليه ، ويغمز به . قال حسان بن ثابت :

همزتك فاخْتضعْتُ لذل نفس * بقافية تأجج كالشُواظِ

وهذا البيت في قصـــيدة له . وجمعه : همزات . واللمزة : الذي يعيب الناس سرا ويؤذيهم .

قال رؤبة بن العجاج :

في ظل عَصْريْ باطلي ولمزي*

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

▲ إيذاء العاص الرســول صــلى الله عليه وســلم وما نزل فيه من قرآن

قال ابن إســحاق : والعاص بن وائل الســهمي ، كان خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قينا بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص ابن وائل ســـيوفا عملها له حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضــاه ، فقال له : يا خباب ، أليس يزعم محمد صـــاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلُها من ذهب ، أو فضـــة ، أو ثياب ، أو خدم ! قال خباب : بلى . قال : فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضـيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصـــاحبك يا خباب آثر عند الله مني ، ولا أعظم حظا في ذلك . فأنزل الله تعالى فيه :) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ، أطلع الغيب (... إلى قوله تعالى :) ونرثه ما يقول ، ويأتينا فردا (.

▲ إيذاء أبي جهل الرسول صلى الله عليه و سلم ، و ما نزل فيه

ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آلهتنا ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه :) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم (. فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

▲ إيذاء النضر الرسول صلى الله عليه و سلم ، و ما نزل فيه

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم السنديد ، وعن أسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتتبها كما اكتتبتها . فأنزل الله فيه :) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض ، إنه كان غفورا رحيما (. ونزل فيه) إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (. ونزل فيه :) ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يُصرّ مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا ، فبشره بعذاب أليم (.

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفي كتاب الله تعالى :) ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله ، وإنهم لكاذبون (.

وقال رؤبة بن العجاج :

ما لامرىء أفَّك قولا إفكا*

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما – فيما بلغني – مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم :) إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير ، وهم فيها لا يسمعون (.

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي ، واسمه خويلد بن خالد:

فأطفىء ولا توقد ولا تك محضأ * لنار العداة أن تطير شكاتها

وهذا البيت في أبيات له . ويُروى (ولا تك محضأ) . قال الشاعر :

حضأت له ناري فأبصر ضوءها * وما كان لولا حضأة النار يهتدي

▲ مقالة ابن الزبعرى ، وما أنزل الله فيه

قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبدالله بن الزبعرى السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبدالله بن الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبدالمطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ؛ فقال عبدالله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته خصمته ، فسلوا

محمدا : أكلّ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام ؛ فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته . فأنزل الله تعالى عليه في ذلك :) إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ، أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها ، وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (: أي عيسى بن مريم ، وعزيرا ، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

ونزَّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله :) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون (... إلى قوله :) ومن يقل منهم إني إله من دونه ، فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين (.

ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته :) ولما ضُرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (: أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيســـــى بن مريم فقال :) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبني إســـرائيل ، ولو نشـــاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ، وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم (: أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأســـقام ، فكفى به دليلا على علم الســـاعة ، يقول :) فلا تمترن بها واتبعون ، هذا صراط مستقيم (.

▲ الأخنس بن شريق ، وما أنزل الله فيه

قال ابن إســـحاق : والأخنس بن شـــريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، وكان من أشـــراف القوم وممن يُســـتمع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ؛ فأنزل الله تعالى فيه :) ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشـــاء بنميم (... إلى قوله تعالى : (زنيم) ، ولم يقل : (زنيم) لعيب في نســـبه ، لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليُعرف . والزنيم : العديد للقوم . وقد قال الخطيم التميمي في الجاهلية :

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الأديم الأكارعُ

▲ الوليد بن المغيرة ، وما أنزل الله تعالى فيه

والوليد بن المغيرة ، قال : أيُنـــزَّل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وســـيدها ، ويترك أبو مســـعود عمرو بن عمير الثقفي ســـيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ، فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني :) وقالوا لولا نزل هـذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم (... إلى قولـه تعالى :) مما يجمعون (.

▲ أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وما أنزل الله فيهما

وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وعقبة بن أبي معيط ، وكانا متصافيين ، حَسَنا ما بينهما . فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيا ، فأتى عقبة فقال له : ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه ، قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلمك – واستغلظ من اليمين – إن أنت جلست إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل في وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما :) ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (... إلى قوله تعالى :) للإنسان خذولا (.

ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارْفتَّ ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمّ ، ثم فتَّه في يده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه :) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال : من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، فإذا أنتم منه توقدون (.

▲ سورة) قل يا أيها الكافرون (وسبب نزولها

واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة – فيما بلغني – الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى ، والوليد بن

المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل الســـهمي ، وكانوا ذوي أســنان في قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشـــترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم :) قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دينِ (أي إن كنتم لا تعبدون الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لي بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ، ولي ديني .

▲ أبو جهل ، وما أنزل الله فيه

وأبو جهل بن هشـام ، لما ذكر الله عز وجل شـجرة الزقوم تخويفا بها لهم ، قال : يا معشــــر قريش ، هل تدرون ما شـــجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن اســـتمكنا منها لنتزقمنَّها تزقما . فأنزل الله تعالى فيه :) إن شـــجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم (: أي ليس كما يقول .

تفسير لفظ (المهل)

قال ابن هشام : المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحســن البصــري أنه قال : كان عبدالله بن مســعود واليا لعمر ابن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضـــة

فأُذيبت ، فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا ، فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل ، لهذا . وقال الشاعر :

يسقيه ربي حميم المهل يجرعه * يشوي الوجوه فهو في بطنه صهر

ويقال : إن المهل : صديد الجسد .

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبدا وإن يمت * ففي النار يُسقى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له .

استشهاد في تفسير (المهل) بكلام لأبي بكر

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حُضِر أمر بثوبين لَبِيْسين يُغسلان فيكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشترِ كفنا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مُهلا كريها * ثم علّ المتون بعد النهالِ

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه :) والشجرة الملعونة في القرآن ، وُنخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (.

▲ ابن أم مكتوم ، والوليد ، و نزول سورة (عبس)

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و رسول الله عليه و سلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك ، إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه . فأنزل الله تعالى فيه :) عبس وتولى أن جاءه الأعمى (... إلى قوله تعالى :) في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة (أي إنما بعثتك بشيرا ونذيرا ، لم أخص بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدينّ به لمن لا يريده .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بني عامر بن لؤي ، و اسمه عبدالله ، و يقال : عمرو .

- ذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة
- سبب رجوع مهاجرة الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا .

من عاد من بني عبد شمس و حلفائهم

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرا و أحدا ، و من حُبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي :

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شـــمس ، و معه امرأته رقية بنت رســول الله صــلى الله عليه وســلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، و امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو .

ومن حلفائهم : عبدالله بن جحش بن رئاب .

من عاد من بني نوفل

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس ابن عيلان .

من عاد من بني أسد

ومن بني أســد بن عبدالعزى بن قصــي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

من عاد من بني عبدالدار

ومن بني عبدالدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ؛ بن عبدالدار . وسُويبط بن سعد بن حرملة .

من عاد من بني عبد بن قصي

ومن بني عبد بن قصي : طُليب بن عمير بن وهب بن عبد .

من عاد من بني زهرة

ومن بني زهرة بن كلاب : عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن زهرة ؛ والمقداد بن عمرو . حليف لهم ؛ وعبدالله بن مسعود ، حليف لهم .

من عاد من بني مخزوم و حلفائهم

ومن بني مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم . وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر ، يُشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة .

من عاد من بني جمح

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وابنه السائب بن عثمان ؛ وقدامة بن مظعون ؛ وعبدالله بن مظعون .

من عاد من بني سهم

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي ؛ وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

من عاد من بني عدي

ومن بني عدي بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حذافة بن غانم .

من عاد من بني عامر و حلفائهم

ومن بني عامر بن لؤي : عبدالله بن مخرمة بن عبدالعزى بن أبي قيس : وعبدالله بن سهيل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا ؛ وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبدالعزى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ؛ والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة .

ومن حلفائهم : سعد بن خولة .

من عاد من بني الحارث

ومن بني الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبدالله ابن الجراح ؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد ؛ وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال .

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا .

من دخل مكة بجوار من مهاجري الحبشة

فكان من دخل منهم بجوار ، فيمن سمُي لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سـلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبي طالب بن عبدالمطلب وكان خاله . وأم أبي سـلمة : برة بنت عبدالمطلب .

▲ قصة عثمان بن مظعون في رد جوار الوليد

تألمه لما يصيب إخوانه في الله ، و ما حدث له في مجلس لبيد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف حدثني عمن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان ابن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي .

فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ؛ فقال له : لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؛ قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية .

قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري ؛ قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ،

ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصـــــرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل*

قال عثمان : صدقت . قال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل*

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : يا معشـر قريش ، والله ما كان يُؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ؛ فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّـــرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصـــابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصـحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصـاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ؛ فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعد إلى جوارك ؛ فقال : لا .

▲ قصة أبي سلمة رضي الله عنه في جوار أبي طالب

ضـجر المشـركين بأبي طالب لإجارته ، و دفاع أبي لهب ، و شـعر أبي طالب في ذلك

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبدالأسد ، فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه : أن

أبا سلمة لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ؛ فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثَّبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبقوا على ذلك . فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرأ أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما إن يُسام المظالما

أقول له ، وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبتْ سوادك قائما

ولا تقبلنّ الدهر ما عشت خطة * تُسبّ بها إما هبطت المواسما

وولّ سبيل العجز غيرك منهمُ * فإنك لم تخُلق على العجز لازما

وحارب فإن الحرب نُصْف ولن ترى * أخا الحرب يُعطىالخسف حتى يُسالما

وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة * ولم يخذلوك غانما أو مغارما

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتم وبيت الله نُبزى محمدا *ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

قال ابن هشام : نبزى : نسلب .

قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رد جواره عليه

سبب جوار ابن الدغنة لأبي بكر

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كما حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجرا ، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين ، لقيه ابن الدغنة ، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

الأحابيش

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعا ، فسموا الأحابيش – لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة – للحلف

ويقال : ابن الدغينة .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقال ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال :

أخرجني قومي وآذوني ، وضيقوا علي ؛ قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ، ارجع فأنت في جواري . فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال : يا معشـــر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يعرضن له أحد إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

▲ سبب خروج أبي بكر من جوار ابن الدغنة

قالت : وكان لأبي بكر مســـجد عند باب داره في بني جمح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصـبيان والعبيد والنسـاء ، يعجبون لما يرون من هيئته . قالت : فمشـــى رجال من قريش إلى ابن الدغنة ، فقالوا له : يا ابن الدغنة ، إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صـــبياننا ونســـائنا وضـــعفتنا أن يفتنهم ، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .

قالت : فمشـى ابن الدغنة إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إني لم أجرك لتؤذي قومك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصـــنع فيه ما أحببت ؛ قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد علي جواري ؛ قال : قد رددته عليك . قالت : فقام ابن الدغنة ، فقال : يا معشـــر قريش ، إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد ، قال : لقيه سفيه من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا . قال : فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل ، قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي رب ، ما أحلمك ، أي رب ، ما أحلمك ، أي رب ، ما أحلمك .

- حديث نقض الصحيفة

- هشام بن عمرو يسعى في نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه ، فكان – فيما بلغني – يأتي بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزا ، فيفعل به مثل ذلك .

سعي هشام في ضم زهير بن أبي أمية له

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب ، فقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدا ؛ قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها ؛ قال : قد وجدت رجلا ، قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثا .

▲ سعي هشام في ضم المطعم بن عدي له

فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنهَّم إليها منكم سراعا ؛ قال : ويحك ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ؛ قال : قد وجدت ثانيا ؛ قال : من هو ؟ قال : أنا ؛ فقال : أبغنا ثالثا ؛ قال : قد فعلت ؛ قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : أبغنا رابعا .

▲ سعي هشام في ضم أبي البختري إليه

فذهب إلى البختري بن هشام ، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : من

هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك ؛ قال : أبغنا خامسا .

▲ سعي هشام في ضم زمعة له

فذهب إلى زمعة بن الأسـود بن المطلب بن أسـد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال لـه : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم .

▲ ما حدث بين هشــام و زملائه ، وبين أبي جهل ، حين اعتزموا تمزيق الصحيفة

فاتعدوا خَطْم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك . فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصــحيفة حتى ينقضــوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم ، فأكون أول من يتكلم .

فلما أصــبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ؛ ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشـــــم هلكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان في ناحية المسجد : كذبت والله ولا تشق ؛ قال زمعة بن الأسـود : أنت والله أكذب ، ما رضـينا كتابها حيث كتبت ؛ قال أبو البختري : صــدق زمعة ، لا نرضــى ما كتب فيها ، ولا نقر به ؛ قال المطعم بن عدي : صــدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ؛ قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قُضي بليل ، تُشُوْوِرَ فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ، إلا (باسمك اللهم) .

شلت يد من كتب الصحيفة

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة . فشُلّت يده فيما يزعمون . إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة ، و ما كان من القوم بعد ذلك

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب : يا عم ، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ؛ فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ؛ قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي ، فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شرا . فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

شعر أبي طالب في مدح النفر الذين نقضوا الصحيفة

قال ابن إســـحاق : فلما مزقت الصـــحيفة وبطل ما فيها ، قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا صنع ربنا * على نأيهم والله بالناس أروَدُ

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت * وأنْ كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك وسحر مجمع * ولم يُلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فطائرها في رأسها يتردد

وكانت كفاء رقعة بأثيمة * ليُقطع منها ساعد ومقلَّد

ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد

ويُترك حرّاث يقلب أمره * أيُتهم فيهم عند ذاك ويُنجد

وتصعد بين الأخشبين كتيبة * لها حدج سهم وقوس ومِرهد

فمن يَنْشَ من حضّار مكة عزه * فعزتنا في بطن مكة أتلد

نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد

ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدي المفيضين تُرعد

جزى الله رهطا بالحجون تبابعوا * على ملأ يهدي لحزم ويرشد

قعودا لدى خطم الحجون كأنهم * مقاولة بل هم أعز وأمجد

أعان عليها كل صقر كأنه * إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد

جريّ على جُلَّى الخطوب كأنه * شهاب بكفَّيْ قابس يتوقَّد

من الأكرمين من لؤي بن غالب * إذا سيم خسفا وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصفُ ساقه * على وجهه يُسقى الغمام ويسعد

عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مَقْرَى الضيوف ويحشد

ويبني لأبناء العشيرة صالحا * إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

ألظَّ بهذا الصلح كل مبرَّأ * عظيم اللواء أمره ثم يحُمد

قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا * عل مهل وسائر الناس رُقَّدُ

همُ رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسُرّ أبو بكر بها ومحمد

متى شُرّك الأقوام في جل أمرنا * وكنا قديما قبلها نُتودد

وكنا قديما لا نُقرّ ظُلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد

فيا لقصي هل لكم في نفوسكم * وهل لكم فيما يجيء به غد

فإني وإياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

ما رثى به حسان المطعم بن عدي ، وذكره نقضه الصحيفة

وقال حســـــان بن ثابت : يبكي المطعم بن عدي حين مات ، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة :

أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي * بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما

وبكِّي عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس ، أبقى مجده اليوم مُطعما

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مُهِلّ وأحرما

فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهما

لقالوا هو الموفى بخُفرة جاره * وذمته يوما إذا ما تذمما

فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما

وآبى إذا يأبي وألين شيمة * وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

فذهب إلى البختري بن هشـــــام ، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك ؛ قال : أبغنا خامسا .

قال ابن هشام : قوله (كليهما) عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : (أجرت رسول الله منهم) ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير . فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بني عامر لا تجير على بني كعب . فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله . فذلك الذي يعني حسان بن ثابت .

▲ حسان يمدح هشام بن عمرو لقيامه في نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت الأنصاري أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة :

هل يُوفينّ بنو أمية ذمة * عقدا كما أوفى جوار هشام

من معشر لا يغدرون بجارهم * للحارث بن حُبيِّب بن سخام

وإذا بنو حسل أجاروا ذمة * اوفوا وأدَّوْا جارهم بسلام

وكان هشام أحد سُحام بالضم

قال ابن هشام : ويقال سخام .

▲ قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

▲ قريش تحذره من استماعه للرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسـحاق : وكان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذّرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوســي يحدث : أنه قدم مكة ورســول الله صــلى الله عليه وســلم بها ، فمشــى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شــريفا شــاعرا لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضــل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشــتت أمرنا ، وإنما قوله كالســحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنّ منه شيئا .

▲ استماعه لقول قريش ، ثم عدوله و سماعه من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فَرقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة . قال : فقمت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله . قال : فسمعت كلاما حسنا . قال : فقلت في نفسي : واثُكْل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .

▲ إسلام الطفيل

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فاعرض علي أمرك . قال : فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا علي القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : اللهم اجعل له آية .

▲ آية للطفيل ليصدقه قومه

قال : فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بِثنيَّة تطلعني على الحاضر وقع نور بين عينيّ مثل المصباح ؛ فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم .

قال : فتحول فوقع في رأس سوطي . قال : فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية ، قال : حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

▲ إسلام والد الطفيل

قال : فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني ؛ قال : ولم يابني ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : أي بني ، فديني دينك ؛ قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

▲ دعوته زوجه إلى الإسلام

قال : ثم أتتني صاحبتي ، فقلت : إليك عني ، فلست منك ولست مني ؛ قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ؛ قال : قلت : قد فرق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فديني دينك ؛ قال : قلت : فاذهبي إلى حِنا ذي الشَّرى – قال ابن هشام : ويقال : حمى ذي الشرى – فتطهري منه .

قال : وكان ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حمى حموه له ، وبه وَشَل من ماء يهبط من جبل .

قال : فقالت : بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا ؛ قال : قلت : لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

دعوته قومه إلى الإسلام ، و ما كان منهم ، و لحاقهم بالرسول صلى الله عليه و سلم

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام ، فأبطئوا علي ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يا نبي الله ، إنه قد غلبني على دوس الزنا ، فادع الله عليهم ؛ فقال : اللهم اهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم .

قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فأَسْهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا فتح الله عليه مكة ، قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذي الكفين ، صنم عمرو بن حممة حتى أُحرقه .

▲ إحراق صنم ذي الكفين

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكفين لست من عُبَّادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوتُ النار في فؤادكا *

▲ جهاده معه صلى الله عليه وسلم وموته

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حُلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتْني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني حثيثا ، ثم رأيته حُبس عني ؛ قالوا : خيرا ؛ قال : أما أنا والله فقد أولتها ؛ قالوا : ماذا ؟ قال : أما حَلْق رأسي فوضعه ؛ وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي ؛ وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي ، فأُغيَّب فيها ؛ وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني . فقُتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجُرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا .

▲ قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة

▲ قدومه على الرسول ومدحه

قال ابن هشـــام :حدثني خلاد بن قرة بن خالد الســـدوســـي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صـــعب بن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رســـول الله صـلى الله عليه وسـلم يريد الإسـلام ، فقال يمدح رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبتَّ كما بات السليم مُسهَّدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيت قبل اليوم صُحبة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن * إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشُبَّانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع * وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلي * مسافة ما بين النُّجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين يممتْ * فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عني فيا رُب سائل * حفيّ عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدَّت برجليها النجاء وراجعت * يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية * إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
و آليت لا آوي لها من كلالة * ولا من حفى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبيا يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد * نبى الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للموت الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها * ولا تأخذنْ سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه * ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها * عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه * لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى * ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة * ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

▲ نهاية الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم ؛ فقال له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ؛ فقال الأعشى : والله إن ذلك الأمر ما لي فيه من أرب ؛ فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ؛ فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ، ثم آتيه فأسلم . فانصرف فمات في عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

▲ أبو جهل يَذِلُّ للرسول صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه إياه ، وشدته عليه ، يذله الله له إذا رآه .

▲ أبو جهل وأمر الإراشي الذي باعه الإبل

مماطلة أبي جهل الإراشـــي ، و اســـتنجاده بقريش ، و اســـتخفافهم بالرسول

قال ابن إسـحاق : حدثني عبدالملك بن عبدالله بن أبي سـفيان الثقفي ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من إراش – قال ابن هشام : ويقال : إراشـــة – بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأثمانها . فأقبل الإراشـي حتى وقف على ناد من قريش ، ورسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في ناحية المسـجد جالس ، فقال : يا معشـر قريش ، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشـــام ، فإني رجل غريب ، ابن ســبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس – لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة – اذهب إليه فإنه يؤديك عليه .

▲ الرسول ينصف الإراشي من أبي جهل

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عبدالله إن أبا الحكم بن هشـام قد غلبني على حق لي قبله ، وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه ، يأخذ لي حقي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقي منه ، يرحمك الله ؛ قال : انطلق إليه ، وقام معه رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فلما رأوه قام معه . قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إلي ، فخرج إليه ، وما في وجهه من رائحة ، قد انتقع لونه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه ؛ قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للإراشي : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيرا ، فقد والله أخذ لي حقي .

▲ ما خافه أبو جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ، والله ما هو إلا أن ضــــرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه .

قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويلك ! ما لك ؟ والله ما رأينا مثل ما صـــــنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي ، وسمعت صوته ، فملئت رعبا ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ، ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني .

▲ أمر ركانة المطلبي ومصارعته للنبي صلى الله عليه وسلم

من معجزاته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف أشد قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ركانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك ، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم ؛ قال : فقم حتى أصارعك .

قال : فقام إليه ركانة يصارعه ؛ فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال : يا محمد ، والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ، إن اتقيت الله واتبعت أمري ؛ قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني ؛ قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقال لها : ارجعي إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب ركانة إلى قومه ، فقال : يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

- قدوم وفد النصارى الذين أسلموا من الحبشة
- أبو جهل يحاول ردهم عن الإسلام ، و إخفاقه

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، عشــرون رجلا أو قريب من ذلك من النصــارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ؛ فلما فرغوا من مســـألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن .

فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصـــدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصــف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضـــهم أبو جهل بن هشـــام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم وصـــدقتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحمق منكم . أو كما قالوا .فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نَأْلُ أنفسنا خيرا .

▲ مواطنهم و ما نزل فيهم من القرآن

ويقال : إن النفر من النصـــــارى من أهل نجران ، فالله أعلم أي ذلك كان . فيقال – والله أعلم – فيهم نزلت هؤلاء الآيات :) الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين (... إلى قوله) لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين (.

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لي : ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه . والآية من سورة المائدة من قوله :) ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون (... إلى قوله :) فاكتبنا مع الشاهدين (.

▲ تهكم المشركين بالمستضعفين ، وما نزل في ذلك

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا .

فأنزل الله تعالى فيهم :) ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (.

▲ ادعاء المشركين على النبي أنه يعلمه بشر ، ورد القرآن عليهم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مَبْيَعة غلام نصـــراني ، يقال له : جبر ، عبد لبني الحضـــرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يُعلِّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بنى الحضرمي .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم :) ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشــر ، لســان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لســان عربي مبين (.

قال ابن هشــــام : يلحدون إليه : يميلون إليه . والإلحاد : الميل عن الحق .

قال رؤبة بن العجاج :

إذا تبع الضحاك كل ملحد*

قال ابن هشام : يعني الضحاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له .

سبب نزول سورة الكوثر

نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي – فيما بلغني – إذا ذكر رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو مات لانقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله في ذلك :) إنا أعطيناك الكوثر (ما هو خير لك من الدنيا وما فيها .

والكوثر : العظيم .

معنى الكوثر

قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشـــام : وهذا البيت في قصـــيدة له . وصـــاحب ملحوب : عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . وقوله : (وعند الرداع بيت آخر كوثر) : يعني شــريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بالرداع . وكوثر : أراد الكثير . ولفظه مشـــتق من لفظ الكثير . قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبدالملك بن مروان :

وأنت كثير يابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت في قصـــيدة له . وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصـــف حمار وحش :

يحامي الحقيق إذا ما احتدمن * وحمحمن في كوثر كالجلال

يعني بالكوثر : الغبار الكثير ، شـــبهه لكثرته عليه بالجلال . وهذا البيت في قصيدة له .

سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الكوثر ما هو ؟ فأجاب

قال ابن إســـحاق : حدثني جعفر بن عمرو – قال ابن هشـــام : هو جعفر ابن عمرو بن أمية الضـــمري – عن عبدالله بن مســـلم أخي محمد بن مســـلم بن شـــهاب الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يا رسول الله ، ما

الكوثر الذي أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صـــنعاء إلى أيلة ، آنيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل .

قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رســـول الله لناعمة ؛ قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم : من شرب منه لا يظمأ أبدا .

نزول) وقالوا لولا أنزل عليه ملك (

مقالة زمعة و صحبه ، و نزول هذه الآية

قال ابن إســحاق : ودعا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قومه إلى الإســلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسـود ، والنضـر بن الحارث ، والأسـود بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جُعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويُرى معك ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم :) وقالوا لولا أنزل عليـه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون (.

▲ نزول (ولقد استهزىء برسل من قبلك)

مقالة الوليد و صحبه ، و نزول هذه الآية

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، وبأبي جهل بن هشـــام ، فهمزوه واســـتهزءوا به ، فغاظه ذلك . فأنزل الله تعالى عليه في ذلك

من أمرهم :) ولقد اسـتهزئ برسـل من قبلك ، فحاق بالذين سـخروا منهم ما كانوا به يستهزءون (.

▲ ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشـام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسـحاق المطلبي قال : ثم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها .

قال ابن إسـحاق : كان من الحديث فيما بلغني عن مسـراه صـلى الله عليه وسـلم ، عن عبدالله بن مسـعود ، وأبي سـعيد الخدري ، وعائشـة زوج النبي صـلى الله عليه وسـلم ، ومعاوية بن أبي سـفيان ، والحسـن بن أبي الحسـن البصـري ، وابن شـهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانئ بنت أبي طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ، كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسري به صلى الله عليه وسـلم ، وكان في مسـراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله عز وجل في قدرته وسـلطانه ، فيه عبرة لأولي الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصـدق ، وكان من أمر الله سـبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شـاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

▲

رواية عبدالله بن مسعود عن الإسراء

فكان عبدالله بن مسعود – فيما بلغني عنه – يقول :

أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق – وهي الدابة التي كانت تحُمل عليها الأنبياء قبله ، تضــــع حافرها في منتهى طرفها – فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموســــى وعيســــى في نفر من الأنبياء قد جمُعوا له ، فصــــلى بهم . ثم أُتي بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . قال : فقال رســول الله صــلى الله عليه وســلم : فســمعت قائلا يقول حين عُرضـــــت علي : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هُدي وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشــــربت منه ، فقال لي جبريل عليه الســـــلام : هُديت وهديت أمتك يا محمد .

▲ رواية الحسن عن مسراه صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحجر ، إذ جاءني جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه ، فجلســــت ولم أر شـــيئا ، فعدت إلى مضـــجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدي ، فقمت معه ، فخرج بي إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض ، بين البغل والحمار ، في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع يده في منتهى طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

▲ رواية قتادة عن مسراه صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسـحاق : وحُدثت عن قتادة أنه قال : حُدثت أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوت منه لأركبه شَـمَس ، فوضع جبريل يده على مَعرفته ، ثم قال : ألا تسـتحي يا براق مما تصـنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال : فاسـتحيا حتى ارفضّ عرقا ، ثم قر حتى ركبته .

▲ عودة إلى رواية الحسن

قال الحسـن في حديثه : فمضـى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسـى وعيسـى في نفر من الأنبياء ، فأمَّهم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فصـلى بهم ، ثم أُتي بإناءين ، في أحدهما خمر ، وفي الآخر لبن .

قال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال لـه جبريل : هديت للفطرة ، وهديت أمتك يا محمد ، وحرمت عليكم الخمر . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمْر البين ، والله إن العير لتطرد ، شـهرا من مكة إلى الشـام مدبرة ، وشـهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب النـاس إلى أبي بكر ، فقـالوا لـه : هل لـك يـا أبـا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع

إلى مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا : بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صـــدق ، فما يُعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السـماء إلى الأرض في سـاعة من ليل أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فقال : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ؛ قال : يا نبي الله ، فصـفه لي ، فإني قد جئته – قال الحسـن : فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : فرُفع لي حتى نظرت إليه – فجعل رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يصـفه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر : صـدقت ، أشـهد أنك رسـول الله ، كلما وصـف له منه شـيئا ، قال : صـدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ؛ فيومئذ سماه الصديق . قال الحسـن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسـلامه لذلك : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ، والشـجرة الملعونة في القرآن ، ونخوفهم ، فما يزيد إلا طغيانا كبيرا) .

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

▲ رواية عائشة عن مسراه صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : حدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

رواية معاوية عن مسراه صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

جواز أن يكون الإسراء رؤيا

فلم يُنكر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى :) وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (، ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه :) يا بُنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك (ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناي وقلبي يقظان . والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين ، من أمر الله ، على أي حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

وصفه صلى الله عليه وسلم لإبراهيم وموسى وعيسى

قال ابن إسحاق : وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلا أشبه قط

بصــاحبكم ، ولا صــاحبكم أشــبه به منه ؛ وأما موســى ، فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة ؛ وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصـير والطويل ، سـبط الشـعر ، كثير خِيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس ، تخال رأســـه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي .

▲ علي يصف الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشـام : وكانت صـفة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه الســلام ، إذا نعت رســول الله صــلى الله عليه وسـلم قال : لم يكن بالطويل الممغَّط ، ولا القصــير المتردد . وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ولا الســبط ، كان جعدا رجلا ، ولم يكن بالمطهَّم ولا المكلثم ، وكان أبيض مشــربا ، أدعج العينين ، أهدب الأشـــفار ، جليل المشـــاش والكتد ، دقيق المسربة ، أجرد شَثْن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع ، كأنما يمشي في صـــبب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو صـلى الله عليه و سـلم خاتم النبيين ، أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صـدرا ، وأصـدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

▲ رواية أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إســـحاق : وكان فيما بلغني عن أمر هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها هند ، في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أُسري برسول الله صلى الله عليه وســلم إلا وهو في بيتي ، نام عندي تلك الليلة في بيتي ، فصـــلى العشــاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبَّنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانىء ، لقد صـليت معكم العشـاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصـليت فيه ، ثم قد صـليت صــلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف ردائه ، فتكشَّـف عن بطنه كأنه قُبطية مطوية ، فقلت له : يا نبي الله ، لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : والله لأحدثنهموه .

قالت : فقلت لجارية لي حبشية : ويحك اتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعي ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنا لم نســمع بمثل هذا قط ؛ قال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فندَّ لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا موجَّه إلى الشام .

ثم أقبلت حتى إذا كنت بضـــجنان مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشـــيء ، فكشـــفت غطاءه وشـــربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ؛ وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوب من البيضاء ، ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق ،

عليه غرارتان ، إحداهما ســـوداء ، والآخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أولُ من الجمل كما وصـف لهم ، وسـألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضــــعوه مملوءا ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسـألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أُنْفرنا في الوادي الذي ذكر ، وندّ لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

▲ قصة المعراج

▲ الرسـول صـلى الله عليه وسـلم يصـعد إلى السـماء الأولى (حديث الخدري عن المعراج)

قال ابن إسـحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أُتي بالمعراج ، ولم أر شـــيئا قط أحسن منه ، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضـر ، فأصـعدني صـاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السـماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إســـماعيل ، تحت يديه اثنا عشـر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشـر ألف ملك – قال : يقول رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو – فلما دُخل بي ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أوقد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير ، وقاله .

▲ صفة مالك خازن النار

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقيني ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك إلي ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم ؟ قال : فقال لي جبريل : أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار .

▲ من صفات جهنم أعاذنا الله منها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم) مطاع ثم أمين (: ألا تأمره أن يُريني النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أرِ محمدا النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، فقال : ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرْه فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبَّهت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

▲ عرض الأرواح على آدم عليه السلام ، (و عود إلى حديث الخدري عن المعراج)

و قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تُعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيرا ويُسّر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها . وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفَّف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

▲ صفة أكلة أموال اليتامى ظلما

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أمول اليتامى ظلما .

▲ صفة أكلة الربا

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يُعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

▲ صفة الزناة من بني آدم

قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثـــــمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

▲ من نسبت ابنا لزوجها من غيره

قال : ثم رأيت نســاء معلقات بثديهنّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إســحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاســم بن محمد أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، قال : اشـتد غضـب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم .

▲ صـعوده صـلى الله عليه وسـلم إلى السـماوات الآخرة ، وما رأى منها

ثم رجع إلى حديث أبي ســعيد الخدري ، قال : ثم أصــــعدني إلى السـماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيســى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصــــورة القمر ليلة البدر ؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ابن يعقوب . قال : ثم أصعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فســألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس – قال : يقول رســول الله صــلى الله عليه وســلم : ورفعناه مكانا عليا – قال : ثم أصـعدني إلى السـماء الخامسـة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ،

عظيم العثنون ، لم أر كهلا أجمل منه ؛ قالت : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران . قال : ثم أصعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى ، كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أصعدني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ؛ فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشَّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

▲ فرض الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السماوات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ؛ فيقولون : أوقد بعث إليه ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ! حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

▲ موســى بن عمران عليه الســلام يطلب من النبي عليه الصــلاة والسلام سؤال ربه التخفيف عن أمته في أمر الصلاة

قال : قال رســول الله صــلى الله عليه وســلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموســى بن عمران ، ونعم الصــاحب كان لكم ، ســألني كم فُرض عليك من الصــلاة ؟ فقلت : خمسـين صــلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصــلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضـعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسـأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فســألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضــع عني عشـرا . ثم انصـرفت فمررت على موســى فقال لي مثل ذلك ؛ فرجعت فســألت ربي ، أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضــع عني عشـرا . ثم انصـرفت فمررت على موســى فقال لي مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشرا . ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاســأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضــع ذلك عني ، إلا خمس صــلوات في كل يوم وليلة . ثم رجعت إلى موســى ، فقال لي مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أَدَّاهنّ منكم إيمانا بهن ، واحتســابا لهن ، كان له أجر خمســين صلاة مكتوبة .

▲ المستهزئون بالرسول ، وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صـابرا محتسبا ، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى و الاســتهزاء . وكان عظماء المســتهزئين ، كما

حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم .

▲ أسماء المستهزئين بالرسول من بني أسد

من بني أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أَعمِ بصره ، وأثكله ولده .

المستهزئون بالرسول من بني زهرة

ومن بني زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

المستهزئون بالرسول من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم .

المستهزئون بالرسول من بني سهم

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم .

المستهزئون بالرسول من خزاعة

ومن بني خزاعة : الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤي بن ملكان .

فلما تمادوا في الشـر ، وأكثروا برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم الاسـتهزاء ، أنزل الله تعالى عليه :) فاصـدع بما تؤمر وأعرض عن المشـركين ، إنا كفيناك المسـتهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (.

▲ ما فعل الله بالمستهزئين

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء : أن جبريل أتى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمي .

ومر به الأسـود بن عبد يغوث ، فأشـار إلى بطنه ، فاسـتسـتقى بطنه فمات منه حبنا .

ومر به الوليد بن المغيرة ، فأشـار إلى أثر جرح بأسـفل كعب رجله ، كان أصـابه قبل ذلك بسـنين ، وهو يجر سـبله ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له ، فتعلق سـهم من نبله بإزاره ، فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتقض به فقتله .

ومر به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شُـبارقة ، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته .

ومر به الحارث بن الطلاطلة ، فأشـار إلى رأسـه ، فامتخض قيحا ، فقتله .

▲ قصة أبي أزيهر الدوسي

▲ وصية الوليد لأولاده

قال ابن إســحاق : فلما حضـرت الوليد الوفاة دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشـــام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أي بني ، أوصـــيكم بثلاث ، فلا تضـــيعوا فيهن دمي في خزاعة فلا تَطُلُّنَّه ، والله إني لأعلم أنهم منه برآء ، ولكني أخشـــى أن تُســبوا به بعد اليوم ؛ وربأي في ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ؛ وعُقري عند أبي أُزيهر ، فلا يفوتنكم بـه . وكـان أبو أزيهر قد زوجـه بنتـا ، ثم أمسكها عنه ، فلم يُدخلها عليه حتى مات .

▲ عقل الوليد عند خزاعة

فلمـا هلك الوليـد بن المغيرة ، وثـب بنو مخزوم على خزاعـة يطلبون منهم عَقْل الوليد ، وقالوا : إنما قتله ســـهم صـــاحبكم - وكان لبني كعب حلف من بني عبدالمطلب بن هاشـم - فأبت عليهم خزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعارا ، وغلظ بينهم الأمر - وكان الذي أصاب الوليد ســهمه رجلا من بني كعب بن عمرو ، من خزاعة - فقال عبدالله بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم :

▲ ما قيل من الأشعار في مقتل الوليد

إني زعيم أن تسيروا فتهربوا * وأن تتركوا الظهران تعوي ثعالبه

وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا * وأن تسألوا : أي الأراك أطايبه ؟

فإنا أناس لا تُطلّ دماؤنا * ولا يتعالى صاعدا من نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب ، من خزاعة .

فأجابه الجون بن أبي الجون ، أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي ، فقال :

والله لا نؤتي الوليد ظُلامة * ولما تروا يوما تزول كواكبه

ويُصرع منكم مُسْمن بعد مسمن * وتُفتح بعد الموت قسرا مشاربه

إذا ما أكلتم خبزكم و خزيركم * فكلكم باكي الوليد ونادبه

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السُّبة ، فأعطتهم خزاعة بعض العقل ، وانصرفوا عن بعض .

فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبي الجون :

وقائلة لما اصطلحنا تعجبا * لما قد حملنا للوليد وقائل

ألم تُقسموا تُؤتوا الوليد ظُلامة * ولما تروا يوما كثير البلابل

فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت * فأمَّ هواه آمنا كلُّ راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذره ، فقال الجون بن أبي الجون :

ألا زعم المغيرة أن كعبا * بمكة منهمُ قدر كثيرُ

فلا تفخر مغيرة أن تراها * بها يمشي المُعَلْهَج والمهير

بها آباؤنا وبها وُلدنا * كما أرسى بمثبته ثبير

وما قال المغيرة ذاك إلا * ليعلم شأننا أو يستثير

فإن دم الوليد يُطل إنا * نطل دماء أنت بها خبير

كساه الفاتك الميمون سهما * زُعافا وهو ممتلىء بهير

فخرّ ببطن مكة مسلحبًّا * كأنه عند وجبته بعير

سيكفيني مِطالَ أبي هشام * صغار جعدة الأوبار خُور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أُقذع فيه .

مقتل أبي أزيهر و ثورة بني عبد مناف لذلك

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق ذي المجاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة بنت أبي أزيهر – وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه – فقتله بعُقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر ، وأُصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين ؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بذي المجاز ، فقال الناس : أُخفر أبو سفيان في صهره ، فهو ثائر به .

فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد – وكان أبو سفيان رجلا حليما منكرا ، يحب قومه حبا شديدا – انحط سريعا إلى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له : قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دوس . سنؤتيهم العقل إن قبلوه ، وأطفأ ذلك الأمر .

فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان خُفْرَته ويجُبنه ، فقال :

غدا أهل ضــوجَىْ ذي المجاز كليهما * وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو

ولم يمنع العَير الضروط ذماره * وما منعت مخزاة والدها هند

كساك هشام بن الوليد ثيابه * فأبْلِ وأخلفْ مثلها جددا بعد

قضى وطرا منه فأصبح ماجدا * وأصبحت رخوا ما تخُب وما تعدو

فلو أن أشياخا ببدر تشاهدوا * لَبلَّ نعال القوم مُعتبط وَرْدُ

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ! بئس والله ما ظن !

▲ مطالبة خالد بربا أبيه ، و ما نزل في ذلك من القرآن

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربا الوليد ، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إســـحاق : فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) .إلى آخر القصة فيها .

▲ ثورة دوس للأخذ بثأر أبي أزيهر ، و حديث أم غيلان

ولم يكن في أبي أزيهر ثأر نعلمه ، حتى حجز الإسـلام بين الناس ؛ إلا أن ضـرار بن الخطاب بن مرادس الفهري خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي

أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونســــوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا * ونسوتها إذ هنَّ شُعث عواطلُ

فهن دفعن الموت بعد اقترابه * وقد برزت للثائرين المقاتل

دعت دعوة دوسا فسالت شعابها * بعز وأدَّتها الشَّراج القوابل

وعمرا جزاه الله خيرا فما وَنى * وما بردت منه لدي المفاصل

فجرّدت سيفي ثم قمت بنصله * وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

قال ابن هشـــام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دون ضـــرار أم جميل ، ويقال أم غيلان ؛ قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

أم جميل و عمر بن الخطاب

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل ، وهي ترى أنه أخوه : فلما انتسبت له عرف القصـة ، فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفت مِنَّتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

ضرار و عمر بن الخطاب

قال الراوي : قال ابن هشـــام : وكان ضـــرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضـــربه بعرض الرمح ويقول : انج يا بن الخطاب لا أقتلك ؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

وفاة أبي طالب وخديجة ، وما عاناه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بعدهما

من كان يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذن يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته : أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم – فيما ذكر لي – يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يُلقيه في الطريق .

▲ طمع المشركين في الرسول صلى الله عليه و سلم بعد وفاة أبي طالب و خديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضدا وحرزا في أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال :

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بُنيّة ، فإن الله مانع أباك . قال : و يقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

▲

المشركون يطلبون عهدا بينهم وبين الرسول عند أبي طالب لما ثقل به المرض

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فيأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباس بن عبدالله بن معبد بن عباس عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبي طالب فكلموه ؛ وهم أشراف قومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن

هشـــــام ، وأمية بن خلف ، وأبو ســــفيان بن حرب ، في رجال من أشــــرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضـــــرك ما ترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ؛ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يا ابن أخي : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك .

قال : فقال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشــر كلمات ؛ قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه .

قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ، إن أمرك لعجب ! قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شــيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضـــوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

▲

رجاء الرسول إسلام أبي طالب ، و حديث ذلك

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططا ؛ قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم في إسـلامه ، فجعل يقول له : أي عم ، فأنت فقلها أســتحل لك بها الشــفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلي بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت قال : نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال : يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

▲

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا قد اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ما ردوا :) ص والقرآن ذي الذكر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق (... إلى قوله تعالى :) أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة (. يعنون النصارى ، لقولهم :) إن الله ثالث ثلاثة (-) إن هذا إلا اختلاق (.ثم هلك أبو طالب .

سعي الرسول إلى الطائف يطلب النصرة ، وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ،

يلتمس النصـــــرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

▲ الثلاثة الذين نزل بهم رســـول الله صــــلى الله عليه وســـلم من أشرافهم ، و تحريضهم عليه

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومســـــعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعنـد أحـدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رســـول الله صــــلى الله عليه وســـلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسـلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا . لئن كنت رســـولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم – فيما ذكر لي – : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رســول الله صــلى الله عليه وسـلم أن يبلغَ قومَه عنه ، فيُذْئِرهم ذلك عليه .

قال ابن هشام : قال عبيد بن الأبرص :

ولقد أتاني عن تميم أنهم * ذَئِروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حَبَلة من عنب ، فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر لي – المرأة التي من بني جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟

▲ شكواه صلى الله عليه وسلم إليه تعالى

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – فيما ذكر لي – اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

▲ قصته صلى الله عليه وسلم مع عداس النصراني

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس ، فقالا له :

خذ قطفا من هذا العنب ، فضـــعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه .

ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضـعه بين يدي رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضـع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فيه يده ، قال : باسـم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صــلى الله عليه وســلم : ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصــراني ، وأنا رجل من أهل نينوى ؛ فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؛ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وســـلم : ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس ، قالا له : ويلك يا عداس ! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شـيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ؛ قالا لـه : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

▲ وفد جن نصيبين الذين استمعوا له و آمنوا به

قال : ثم إن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم انصـرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصـــلي ، فمر بـه النفر من الجن الذين ذكرهم الله

تبارك وتعالى ، وهم – فيما ذكر لي – سبعة نفر من جن أهل نصيبين ، فاستمعوا له ؛ فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل :) وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن (... إلى قوله تعالى :) ويجركم من عذاب أليم (. وقال تبارك وتعالى :) قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن (... إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

▲ عرض الرسول صلى الله عليه و سلم نفسه على العرب في مواسمهم

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة بن عباد الديلي ، – أو من حدثه أبو الزناد عنه – قال ابن هشام : ربيعة بن عباد .

▲ أبو لهب يفرق الناس من حوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس ، قال : سـمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لغلام شـاب مع أبي بمنى ، ورسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسـول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشـركوا به شـيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصـدقوا بي ، وتمنعوني ، حتى أُبين عن الله ما بعثني به .

قال : وخلفه رجل أحول وضـيء ، له غديرتان ، عليه حلة عدنية . فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسـلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش * يُقعقع خلف رجليه بشنّ

▲ عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على كندة

قال ابن إسـحاق : حدثنا ابن شـهاب الزهري : أنه أتى كندة في منازلهم ، وفيهم سـيد لهم يقال له : مُليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه .

▲ عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على بني كلب

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حصين : أنه أتى كلبا في منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبدالله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بني عبدالله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

▲ عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على بني حنيفة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليهم ردا منهم .

▲ عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على بني عامر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم – يقال له : بَيْحرة بن فراس . قال ابن هشام : فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – : والله ، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش ، لأكلت به العرب ، ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ؛ قال : فقال له : أفتُهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ؛ فأبوا عليه .

فلما صــدر الناس رجعت بنو عامر إلى شــيخ لهم ، قد كانت أدركته السـن ، حتى لا يقدر أن يُوافي معهم المواسـم ، فكانوا إذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسـم ؛ فلما قدموا عليه ذلك العام سـألهم عما كان في موســمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبدالمطلب ، يزعم أنـه نبي ، يـدعونـا إلى أن نمنعـه ونقوم معـه ، ونخرج به إلى بلادنا .

قال : فوضـع الشيخ يديه على رأسـه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذُناباها من مطلب ، والذي نفس فلان بيده ، ما تقولها إسماعيلي قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

▲ عرضه الرسول نفسه على العرب في المواسم

قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسـم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإســـلام ، ويعرض عليهم نفســـه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسـمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسـم وشـرف ، إلا تصدى له ، فدعا إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

▲ عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على سويد بن صامت

قال ابن إسـحاق : وحدثني عاصـم بن عمر بن قتادة الأنصـاري ، ثم الظفري عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم ســويد بن صـــامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجا أو معتمرا ، وكان سـويد إنما يسـميه قومه فيهم : الكامل ، لجلده وشـعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثُغْرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبتري عقب الظهر
تُبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فَرِشْني بخير طالما قد بريتني * فخير الموالي من يريش ولا يبري
وهو الذي يقول : ونافر رجلا من بني سـليم ، ثم أحد بني زِعب بن مالك على مائة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضـت له . فانصرف عنها هو والسلمي ، ليس معهما غيرها ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أخا بني سليم ، قال : أبعث إليك به ؛ قال : فمن لي بذلك إذا فُتَّني به ؟ قال : كلا ، والذي نفس سـويد بيده ، لا تفارقنِّـي حتى أُوتَى بمالي ، فاتخذا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا ، ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذي له ، فقال في ذلك :
لا تحسبنِّي يا ابن زغب بن مالك * كمن كنت تُردي بالغيوب وتختلُ
تحولت قِرنا إذ صُرعت بعزة * كذلك إن الحازم المتحول
ضربت به إبط الشمال فلم يزل * على كل حال خده هو أسفل
في أشعار كثيرة كان يقولها .
فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ؛ فقال له رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان – يعني حكمة لقمان – فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم : اعرضها علي ، فعرضها عليه ؛ فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علي ، هو هدى ونور .

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بعاث .

▲ إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحَيْسر ، أنس بن رافع ، مكة ومعه فتية من بني عبدالأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علي الكتاب .

قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدثا : أي قوم ، وهذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد

جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصـرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضـــره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يســـمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسـلما ، لقد كان اسـتشـعر الإسـلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

بدء إسلام الأنصار

اجتماعه صلى الله عليه وسلم بوفد من الخزرج عند العقبة

قال ابن إســـحاق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسـم الذي لقيه فيه النفر من الأنصـار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

فجلسـوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسـلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صـنع الله لهم به في الإسـلام ،

أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شــرك وأصــحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شـــيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضـهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي توعدكم به يهود ، فلا تسـبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صـدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسـلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشـر ما بينهم ، فعسـى أن يجمعهم الله بك ، فسـنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

أسماء من التقوا به صلى الله عليه وسلم من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسـحاق : وهم – فيما ذكر لي – : سـتة نفر من الخزرج ، منهم من بني النجار – وهو تيم الله – ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سـواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء .

قال ابن هشـــام : وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

قال ابن إســحاق : ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ويقال : عامر بن الأزرق .

قال ابن إســحاق : ومن بني سَـلِمة بن سـعد بن علي بن سـاردة بن تزيد ابن جشــم بن الخزرج ، ثم من بني ســواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن ســـلمة : جابر بن عبدالله ابن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رســول الله صـــلى الله عليه وســلم ودعوهم إلى الإســلام حتى فشــا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

▲ بيعة العقبة الأولى ، و مصعب بن عمير

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصـار اثنا عشـر رجلا ، فلقوه بالعقبة . قال : وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسـول الله صـلى

الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب .

▲ رجال البيعة الأولى من بني النجار

منهم من بني النجار ، ثم من بني مالك بن النجار : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهما ابنا عفراء .

▲ رجال العقبة الأولى من بني زريق

ومن بني زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ؛ وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ابن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجري أنصاري .

▲ رجال العقبة الأولى من بني عوف

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ؛ وأبو عبدالرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بني غُصينة ، من بلي ، حليف لهم .

مقالة ابن هشام في اسم القواقل

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما ، وقالوا له : قوقل به بيثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوقلة : ضرب من المشي .

▲ رجال العقبة من بني سالم

قال ابن إســحاق : ومن بني ســالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بني العجلان بن زيد بن غنم بن ســالم : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان .

▲ رجال العقبة من بني سَلِمة ، بلام مكسورة

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن سـلمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

▲ رجال العقبة من بني سواد

ومن بني ســـواد بن غنم بن كعب بن ســـلمة : قطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غنم بن سواد .

▲ رجال العقبة من الأوس

وشــهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني عبدالأشـهل بن جشـم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيَّهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التَّيهان : يخفف ويثقل ، كقوله مَيْت وميِّت .

▲ رجال العقبة من بني عمرو

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة .

▲ عهد رسول الله على مبايعي العقبة ، و نص البيعة

قال ابن إســــحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرثد بن عبدالله اليزني ، عن عبدالرحمن بن عسـيلة الصـنابحي ، عن عبادة بن الصــامت ، قال : كنت فيمن حضـــر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لا نشــرك بالله شــيئا ، ولا نســرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصـيه في معروف . فإن وفَّيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن عائذ الله بن عبدالله الخولاني أبي إدريس أن عبادة بن الصــــامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشـرك بالله شـيئا ، ولا نسـرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصـــــيه في معروف ؛ فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشـيتم من ذلك شـيئا فأُخذتم بحده في الدنيا ، فهو كفارة له ، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

▲ إرسال الرسول مصعب بن عمير مع وفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسـلم معهم مصــعب بن عمير بن هاشــم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصــي ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإســلام ،

ويفقههم في الدين ، فكان يُسمَّى المقرِئ بالمدينة : مصعب . وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس ، أبي أمامة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضُهم أن يؤمه بعض .

▲ أول جمعة أقيمت بالمدينة

أسعد بن زرارة و إقامة أول جمعة بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبي أمامة ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبي ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة ، أسعد بن زرارة .

قال : فمكث حينا على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لعجز ، ألا أسأله ما له إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج ؛ فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت ، ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال : فقال : أي بني ، كان أول من جمَّع بنا بالمدينة في هزم النبيت ، من حرة بني بياضة ، يقال له : نقيع الخضمات ، قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

أسعد بن زرارة ، و مصعب بن عمير ، و إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وبني عبدالأشهل

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب ، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبدالأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبدالأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر .

–قال ابن هشام : واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس – قالا : على بئر يقال لها : بئر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بني عبدالأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدما .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ؛ فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال : فوقف عليهما

متشتِّما فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

فقال له مصــعب : أوتجلس فتســمع ، فإن رضــيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟

قال : أنصـــــفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصـــــعب بالإســـلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإســـلام قبل أن يتكلم في إشـــراقه وتســـهله ، ثم قال : ما أحســـن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصـــنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهَّر وتُطهِّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ؛ فلما نظر إليه ســـعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أســـيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك .

قال : فقام سعد مغضبا مبادرا ، تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شـــيئا ، ثم خرج

إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، أما والله ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره – وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان – قال : فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهله ؛ ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهَّر و تطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم قال : يا بني عبدالأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا و أوصلنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أمســـى في دار بني عبدالأشـــهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإســـلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصــار إلا وفيها رجال ونسـاء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أميـة بن زيـد ، وخطمـة ووائـل وواقف ، وتلـك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأســـلت ، وهو صيفي ، وكان شـاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإســـلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضـى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أربَّ الناس أشياء ألمت * يُلف الصعب منها بالذَّلولِ

أرب الناس أما إذ ضللنا * فيسرنا لمعروف السبيل

فلولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذي شُكول

ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان في جبل الجليل

ولكنا خلقنا إذ خلقنا * حنيفا دينُنا عن كل جيل

نسوق الهَدْي ترسف مذعنات * مكشفة المناكب في الجلول

قال ابن هشـام : أنشـدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

▲ أمر العقبة الثانية

▲ مصعب بن عمير و العقبة الثانية

قال ابن إســحاق : ثم إن مصــعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج الأنصــار من المسـلمين إلى الموسـم مع حجاج قومهم من أهل الشــرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رســول الله صــلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصـر لنبيه ، وإعزاز الإسـلام وأهله ، وإذلال الشـرك وأهله .

▲ البراء بن معرور يصلي إلى الكعبة

قال ابن إســحاق : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني ســلمة ، أن أخاه عبدالله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصــار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعب ممن شــهد العقبة وبايع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بها ، قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشـركين ، وقد صـلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيدنا وكبيرنا .

فلما وجهنا لسـفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إنـي قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدري ، أتوافقونني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البَنيّة مني بظهر ، يعني الكعبة ، وأن أصــلي إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إني لمصل إليها . قال : فقلنا له : لكنا لا نفعل .

قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عبنا عليه ما صــنع ، وأبى إلا

الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياي فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم – قال : و قد كنا نعرف العباس ، وكان لا يزال يقدم علينا تاجرا – قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ؛ وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال :

وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عون بن أيوب الأنصاري :

ومنا المُصلي أول الناس مُقبلا * على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعني البراء بن معرور . وهذا البيت في قصيدة له .

▲ إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب ، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ؛ ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

▲ امرأتان في البيعة

قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن

ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجار ؛ وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي ، إحدى نساء بني سلمة ، وهي أم منيع .

▲ العباس يستوثق من الأنصار

قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب ، فقال : يا معشر الخزرج – قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار : الخزرج ، خزرجها وأوسها – : إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

▲ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم

قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبيا ، لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرنا ، فبايِعْنا يا رســـول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر .

قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رســـول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وإنا قاطعوها – يعني اليهود – فهل عســـيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسـم رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

قال ابن هشـــام : ويقال : الهدم الهدم : يعني الحرمة . أي ذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم .

قال كعب بن مالك : وقد كان قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلي منكم اثنى عشـــر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشـــر نقيبا ، تســـعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

▲ أسماء النقباء الاثني عشر و تمام خبر العقبة

▲ نقباء الخزرج

قال ابن هشـــام : من الخزرج – فيما حدثنا زياد ابن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إســـحاق المطلبي – : أبو أمامة أســـعد بن زرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو تيم الله

بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ؛ وســـعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مـالـك بن امرئ القيس بن مـالـك بن ثعلبـة بن كعـب بن الخزرج بن الحـارث بن الخزرج ؛ وعبـدالله بن رواحـة بن ثعلبـة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مـالـك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ؛ ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سـنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سـلمة بن سـعد بن علي بن أسـد بن سـاردة ابن تزيد بن جشـم بن الخزرج ؛ وعبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة ابن حرام بن كعب بن ســلمة بن ســعد بن علي بن أســد بن ســاردة بن تزيد بن جشــم بن الخزرج ؛ وعبادة بن الصــامت بن قيس بن أصــرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن ســالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن هشــام : هو غنم بن عوف ، أخو ســالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن إســحاق : وسـعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ســــاعدة بن كعب بن الخزرج ؛ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج – قال ابن هشام : ويقال : ابن خنيس – .

▲ نقباء الأوس

ومن الأوس : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل ؛ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك ابن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السـلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ؛ ورفاعة بن عبدالمنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك في حصر النقباء

قال ابن هشـــام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشـــدني أبو زيد الأنصاري :

أبلغ أُبيا أنه فال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقعُ

أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راءٍ وسامع

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع

فلا ترغبنْ في حشد أمر تريده * وألِّب وجمِّع كل ما أنت جامع

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا

أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد يأباه عليك ورافع

وسعد أباه الساعدي ومنذر * لأنفك إن حاولت ذلك جادع

وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعنْ ثم طامع

وأيضا فلا يُعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السم ناقع

وفاء به والقوقلي بن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع

أبو هيثم أيضا وفيّ بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع

وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أُحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضَروح لما حاولت مِلْأمر مانع
أولاك نجوم لا يغبك منهمُ * عليك بنحس في دجى الليل طالع
فذكر كعب فيهم (أبا الهيثم بن التيهان) ولم يذكر (رفاعة) .
قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي – يعني المسلمين – قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ؛ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأمول ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ؛ فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصـــــم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد لعقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

وأما عبدالله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضـــرها عبدالله بن أبي ابن ســـلول ، فيكون أقوى لأمر القوم . فالله أعلم أي ذلك كان .

نسب سلول

قال ابن هشـام : سـلول : امرأة من خزاعة ، وهي أم أبيّ بن مالك بن الحارث .

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسـحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة ، أسـعد بن زرارة ، كان أول من ضــرب على يده ؛ وبنو عبدالأشـهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إســحاق : فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه ، عن أخيـه عبدالله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضــرب على يد رسـول الله صــلى الله عليه وســلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعدُ القوم .

▲ الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة الثانية

فلما بايعنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم صـرخ الشـيطان من رأس العقبة بأنفذ صـــوت ســـمعته قط : يا أهل الجباجب – والجباجب : المنازل – هل لكم في مذمَّم والصُّباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم .

قال : فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : هذا أزبّ العقبة ، هذا

ابن أزيب – قال ابن هشام : ويقال ابن أُزيب – أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغنّ لك .

▲ الأنصار تستعجل الإذن بالحرب

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضُّوا إلى رحالكم . قال : فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا .

▲ قريش تجادل الأنصار في شأن البيعة

قال : فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم .

قال : فانبعث مَنْ هناك مِنْ مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان له جديدان . قال : فقلت له كلمة – كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا – : يا أبا جابر ، أما تستيطع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمي

بهما إلي ، وقال : والله لتنتعلنَّهما . قال : يقول أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفتى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت : والله لا أردهما ، فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلُبنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبدالله بن أبي ابن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ؛ فقال لهم : و الله إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوَّتوا علي بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

قريش تأسر سعد بن عبادة

قال : ونفر الناس من منى ، فتنطَّس القوم الخبر ، فوجوده قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجز القوم ؛ وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بجُمَّته ، وكان ذا شعر كثير .

خلاص سعد بن عبادة من أسر قريش

قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش ، فيهم رجل وضيء أبيض ، شعشاع ، حلو من الرجال .

قال ابن هشام : الشعشاع : الطويل الحسن . قال رؤبة :

يمطوه من شعشاع غير مودن*

يعني عنق البعير غير قصير . يقول : مودن اليد : أي ناقص اليد .

قال : فقلت في نفسـي : إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ؛ قال : فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شـديدة . قال : فقلت في نفسـي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير . قال : فوالله إني لفي أيديهم يسـحبونني إذ أوى لي رجل ممن كان معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أُجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب ابن أمية بن عبد شـمس بن عبد مناف ؛ قال : ويحك ! فاهتف باسـم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما في المسـجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يضـرب بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا ؛ قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ؛ قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلَّصـا سـعدا من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سـعدا ، سـهيل بن عمرو ، أخو بني عامر بن لؤي .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذي أوى إليه ، أبا البختري بن هشام .

▲ أول ما قيل في الهجرة من الشعر

قال ابن إسـحاق : وكان أول شـعر قيل في الهجرة بيتين ، قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر فقال :

تداركتَ سعدا عنوة فأخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا

لو نلتُه طُلَّت هناك جراحه * وكانت حريًا أن يُهان ويُهدرا

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقا أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

لست إلى سعد ولا المرء منذر * إذا ما مطايا القوم أصبحن ضُمَّرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حُسَّرا

أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم أنه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولاتك كالثكلى وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

ولا تك كالعاوي فأقبل نحره * ولم يخشه ، سهما من النبل مضمرا

فإنا ومن يُهدي القصائد نحونا * كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

▲ قصة صنم عمرو بن الجموح

▲ عدوان قوم عمرو على صنمه

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب ، يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلها تعظمه وتطهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة : معاذ بن جبل ، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح ، في فتيان منهم

ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، وفيها عِذَر الناس ، مُنكَّسا على رأسه ؛ فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأُخزينَّه . فإذا أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ؛ فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره ويطيبه ؛ ثم يعدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك .

فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقوه يوما ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به .

▲ إسلام عمرو ، وما قاله من الشعر

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من رجال قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنتَ إلها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قَرَنْ
أُفٍّ لملقاك إلها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن * الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن * أكون في ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدي النبي المرتهن *

▲ شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكانت بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عبادة بن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعه الحرب – وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء – على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

▲ أسماء من شهد العقبة الأخيرة

▲

عدد من شهدها

قال ابن إســحاق : وهذا تســمية من شــهد العقبة ، وبايع رســول الله صـلى الله عليه وسـلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسـبعين رجلا وامرأتين .

من شهدها من الأوس بن حارثة و بني عبدالأشهل

شـــهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بني عبدالأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوس : أسـيد بن حضـير بن سـماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشــهل ، نقيب لم يشــهد بدرا . وأبو الهيثم بن التيهان ، واسـمه مالك ، شـهد بدرا . وسـلمة بن سـلامة بن وقش بن زغبة بن زعُوراء بن عبدالأشهل ، شهد بدرا ، ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : ابن زعَوراء (بفتح العين)

▲

من شهدها من بني حارثة بن الحارث

قال ابن إســحاق : ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظُهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشــــم بن حارثة . وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذيبان بن هميم بن كامل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضــاعة ، حليف لهم ، شــهد

بـدرا . ونهُير بن الهيثم ، من بني نـابي بن مجدعـة بن حـارثـة بن الحـارث بن الخزرج ابن عمرو بن مـالـك بن الأوس ؛ ثم من آل السوّاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

▲

من شهدها من بني عمرو بن عوف

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : سـعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السـلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شـهد بدرا ، فقُتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا .

قال ابن هشـام : ونسـبه ابنُ إسـحاق في بني عمرو بن عوف ؛ وهو من بني غنم بن السـلم ، لأنـه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم فيُنسب إليهم .

قال ابن إسـحاق : ورفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شـهد بدرا . وعبدالله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البُـرَك – واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس – شـهدا بدرا ، وقتل يوم أحد شـهيدا أميرا لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم على الرماة ؛ ويقال : أمية بن البَرْك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسـحاق : ومعن بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضـبيعة ، حليف لهم من بلي ، شـهد بدرا وأحدا والخندق ، ومشـاهد

رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كلها ، قتل يوم اليمامة شـهيدا في خلافة أبي بكر الصـديق رضـي الله عنه . وعُويم بن سـاعدة ، شـهد بدرا وأحدا والخندق . خمسـة نفر . فجميع من شـهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا .

▲

من شهدها من الخزرج بن حارثة

وشـهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار شـهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشـاهد كلها ؛ مات بأرض الروم غازيا في زمن معاوية بن أبي سـفيان . ومعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سـواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، شـهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشـاهد كلها ، وهو ابن عفراء . وأخوه عوف بن الحارث ، شـهد بدرا وقتل به شـهيدا ، وهو لعفراء . وأخوه معوّذ بن الحارث ، شـهد بدرا وقتل به شـهيدا ، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء – ويقال : رفاعة بن الحارث بن سواد ، فيما قال ابن هشام – وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، شـهد بدرا وأحدا والخندق ، والمشـاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شـهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن

ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبنى ، وهو أبو أمامة . ستة نفر .

▲

من شهدها من بني عمرو بن مبذول

ومن بني عمرو بن مبذول – ومبذول : عامر بن مالك بن النجار – : سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهد بدرا . رجل .

▲

من شهدها من بني عمرو بن مالك

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار ، وهم بنو حديلة – قال ابن هشام : حديلة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج – أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، شهد بدرا . وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، شهدا بدرا . رجلان .

▲

من شهدها من بني مازن بن النجار

ومن بني مازن بن النجار ، قيس بن أبي صعصعة ، واسم أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ، شهد بدرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على

الســاقة يومئذ . وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنســاء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن . رجلان .

فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد عشر رجلا .

تصويب نسب عمرو بن غزية

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذي ذكره ابن إســـحاق ، إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء .

▲

من شهدها من بلحارث بن الخزرج

قال ابن إســـحاق : ومن بَلْحارث بن الخزرج : ســـعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شــهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شــهيدا . وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة ين كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شــهد بدرا وأحدا والخندق ومشــاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح وما بعده ، وقتل يوم مؤتة شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان بن بشير ، شهد بدرا . وعبدالله بن زيد بن

ثعلبة ابن عبدالله بن زيد مناة بن الحارث بن الخزرج ، شـــهد بدرا ، وهو الذي أُري النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وســلم فأمر به . وخلاّد بن ســويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، شـــهد بدرا وأحدا والخندق ، وقتل يوم بني قريظة شـــهيدا ، طُرحت عليه رحى من أُطم من أطامها فشــدخته شــدخا شــديدا ، فقال رســول الله صـــلى الله عليه وســلم – فيما يذكرون – : إن له لأجر شـــهيدين . وعقبة بن عمرو ابن ثعلبة بن أُســيرة بن عُســيرة بن جِدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وهو أبو مســعود ، وكان أحدث من شـــهد العقبة سنا ، مات في أيام معاوية ، لم يشهد بدرا . سبعة نفر .

▲

من شهدها من بني بياضة بن عامر

ومن بني بياضـــة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضــب بن جشــم بن الخزرج : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن ســنان بن عامر بن عدي ابن أمية بن بياضة ، شهد بدرا . وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة ، شهد بدرا.

قال ابن هشام : ويقال : وُدْفة .

قال ابن إســحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، شهد بدرا . ثلاثة نفر .

▲

من شهدها من بني زريق

ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، نقيب . وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلَّد بن عامر بن زريق ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري ؛ شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وعباد بن قيس بن عامر بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، شهد بدرا . والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وهو أبو خالد ، شهد بدرا . أربعة نفر .

▲

من شهدها من بني سلمة بن سعد

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم ابن الخزرج ؛ ثم من بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة : البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم ، نقيب ، وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ، ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكله أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سُمّ فيها – وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بني سلمة : من سيدكم يا بني سلمة ؟ فقالوا : الجدُّ بن قيس ، على بخله

؛ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : وأي داء أكبر من البخل ! سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور – وسنان بن صـيفي بن صـخر ابن خنسـاء بن سـنان بن عبيد ، شـهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شـــهيدا . والطفيل بن النعمان بن خنســاء بن ســنان بن عبيد ، شـــهد بدرا ، وقتل يوم الخندق شـــهيدا . ومعقل بن المنذر بن ســرح بن خناس بن ســنان بن عبيد ، شـــهدا بدرا . و أخوه يزيد بن المنذر ، شـهد بدرا . ومسـعود بن يزيد بن سـبيع بن خنسـاء بن سـنان بن عبيد . والضـحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شـهد بدرا . ويزيد بن حرام بن سـبيع بن خنسـاء بن سـنان بن عبيد . وجُبار بن صـخر بن أمية بن خنساء ابن سنان بن عبيد ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صـخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسـحاق : والطفيل بن مالك بن خنسـاء بن سـنان بن عبيد ، شهد بدرا . أحد عشر رجلا .

▲

من شهدها من بني سواد بن غنم

ومن بني ســواد بن غنم بن كعب بن ســـلمة ، ثم من بني كعب بن سواد : كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب . رجل .

▲

من شهدها من بني غنم بن سواد

ومن بني غنم بن سـواد بن غنم بن كعب بن سـلمة : سـليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شـهد بدرا . وقطبة بن عامر بن حديدة

بن عمرو بن غنم ، شـــهد بدرا . وأخوه يزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، وهو أبو المنذر ، شـهد بدرا . وأبو اليسـر ، واسـمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا . وصيفي بن سواد بن عباد بن عمرو بن غنم . خمسة نفر .

تصويب اسم صيفي

قال ابن هشام : صيفي بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

▲

من شهدها من بني نابي بن عمرو

قال ابن إســحاق : ومن بني نابي بن عمرو بن ســواد بن غنم بن كعب ابن سـلمة : ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي ، شـــهد بدرا ، وقتل بالخندق شـــهيدا . وعمرو بن غنمة بن عدي بن نابي ، وعبس بن عامر بن عدي بن نابي ، شــهد بدرا . وعبدالله بن أُنيس ، حليف لهم من قضاعة . وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي . خمسة نفر .

▲

من شهدها من بني حرام بن كعب

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شــهد بدرا ، وقتل يوم أحد شـــهيدا ، وابنه جابر بن عبدالله . ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام ، شـهد بدرا . وثابت بن الجذع – والجِذع :

ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام – شهد بدرا ، وقتل بالطائف شهيدا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ، شهد بدرا .

قال ابن هشام : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخَديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرافر ، حليف لهم من بلي . ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد ؛ ويقال : أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ؛ وكان في بني سلمة ، شهد بدرا ، والمشاهد كلها ومات بعمواس ، عام الطاعون بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي ابن غنم بن كعب بن سلمة لأمه . سبعة نفر .

تصويب نسب خديج بن سلامة

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُذَن ابن سعد .

▲

من شهدها من بنى عوف بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بنى عوف بن الخزرج ؛ ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرا والمشاهد كلها .

قال ابن هشـــام : هو غنم بن عوف ، أخو ســالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن إسـحاق : والعباس بن عبادة بن نضـلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن ســالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسـول الله صـــلى الله عليه وســـلم وهو بمكة ، فأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجري أنصــاري ، وقتل يوم أحد شـهيدا . وأبو عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصـــرم بن عمرو بن عمّارة ، حليف لهم من بني غصـــينة من بلي . وعمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة . أربعة نفر ، وهم القواقل .

▲

من شهدها من بنى سالم بن غنم

ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبُلِيّ – قال ابن هشام : الحُبُلِيّ : سالم بن غنم بن عوف ، وإنما سُـمِّي (الحبلي) لعظم بطنـه – : رفـاعـة بن عمرو بن زيـد بن عمرو بن ثعلبـة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرا ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشـــام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبدالله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إســـــحاق : وعقبة بن وهب بن كلَّدة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشـــــم بن عوف بن بهثة بن عبدالله بن غطفان بن ســـعد بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شـــهد بدرا ،

وكان ممن خرج إلى رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري .

قال ابن هشام : رجلان .

من شهدها من بني ساعدة بن كعب

قال ابن إســحاق : ومن بنى ســاعدة بن كعب بن الخزرج : ســعد بن عبـادة بن دُليم بن حـارثـة بن أبي خزيمـة بن ثعلبـة بن طريف بن الخزرج بن ســـاعدة ، نقيب . والمنذر بن عمرو بن خَنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شـــهد بدرا وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة أميرا لرســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ، وهو الذي كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنش .

قال ابن إســحاق : فجميع من شــهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسـبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسـول الله صـلى الله عليه وسلم لا يصـافح النسـاء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

▲

من شهدها من بني مازن بن النجار

ومن بنى مازن بن النجار : نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ، وهي أم عمارة ، كانت شـــهدت الحرب مع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وشـهدت معها أختها .

وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبدالله بن زيد ، وابنها حبيب الذي أخذه مسيلمة الكذاب الحنفي ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ؛ فيقول : أفتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات في يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذُكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مسيلمة قال : لا أسمع ، فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت الحرب بنفسها . حتى قتل الله مسيلمة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذ الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة .

▲

من شهدها من بني سلمة

ومن بني سلمة : أم منيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن غنم بن كعب بن سلمة .

▲ نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبي : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل

له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضـــطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أيديهم ، ومن بين هارب في البلاد فرارا منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صـــلى الله عليه وســلم ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحَّده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم .

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى :) أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصــــرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضـــــهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن اللهُ من ينصــــره ، إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصـــلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور (. أي : أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصـــــلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله

عنهم أجميعن ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه :) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (. أي : حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه :) ويكون الدين لله (. أي : حتى يُعبدالله ، لا يعبد معه غيره .

▲ إذنه صلى الله عليه و سلم لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها .

فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

▲

ذكر المهاجرين إلى المدينة

▲

هجرة أبي سلمة وامرأته ، و حديثه عما لقياه

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، من بني مخزوم : أبو سلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبدالله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان

قدم على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم مكة من أرض الحبشـة ، فلما آذته قريش وبلغه إسـلام من أسـلم من الأنصـار ، خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسـحاق : فحدثني أبي إسـحاق بن يسـار ، عن سـلمة بن عبدالله ابن عمر بن أبي سـلمة ، عن جدته أم سـلمة ، زوج النبي صـلى الله عليه وسـلم ، قالت : لما أجمع أبو سـلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سـلمة بن أبي سـلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسـك غلبتنا عليها ، أرأيت صـاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسـير بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه .

قالت : وغضـب عند ذلك بنو عبدالأسـد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صـاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنيَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبدالأسد ، وحبسـني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني .

قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمنى فقال لبني المغيرة : ألا تخُرجون هذه المسـكينة ، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي :

الحقي بزوجك إن شـئت . قالت : و ردَّ بنو عبدالأسـد إلي عند ذلك ابني .
قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضـــعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحد من خلق الله . قـالـت : فقلـت : أتبلَّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ؛ حتى إذا كنـت بـالتنعيم لقيـت عثمـان بن طلحـة بن أبي طلحـة ، أخـا بني عبدالدار ، فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أوما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبُني هذا ، قال : والله ما لك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صـــحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم اســـتأخر عني ، حتى إذا نزلت اســـتأخر ببعيري ، فحط عنه ، ثم قيده في الشـــجرة ، ثم تنحى عني إلى شـــجرة ، فاضـــطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم اســـتأخر عني ، وقال : اركبي . فإذا ركبت واسـتويت على بعيري أتى فأخذه بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قريـة بني عمرو بن عوف بقبـاء ، قـال : زوجـك في هـذه القريـة – وكان أبو ســـلمة بها نازلا – فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإســلام أصــابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

▲

هجرة عامر بن ربيعة و زوجه ، وهجرة بني جحش

قال ابن إســـحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي ســـلمة : عامر بن ربيعة ، حليف بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عدي بن كعب . ثم عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صـبرة بن مرة بن كثير بن غنم ابن دودان بن أسـد بن خزيمة ، حليف بني أمية بن عبد شـمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد – وكان أبو أحمد رجلا ضـــرير البصـــر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأســفلها ، بغير قائد ، وكان شــاعرا ، وكانت عنده الفرعة بنت أبي ســفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشـــم – فغُلِّقت دار بني جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة ، والعباس بن عبدالمطلب ، وأبو جهل ابن هشـــام بن المغيرة ، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم ، وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ، ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ، ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحُوب

قال ابن هشـــام : وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصـــيدة له .
والحوب : التوجع ، و هو في موضـــع آخر : الحاجة ؛ و يقال : الحوب : الإثم .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبة بن ربيعة : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها ! فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلّ بن قُلّ .

قال ابن هشام : القل : الواحد . قال لبيد بن ربيعة :

كل بني حرة مصيرهم * قُلّ وإن أكثرت من العددِ

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخي هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا . فكان منزل أبي سلمة بن عبدالأسد ، وعامر بن ربيعة ، وعبدالله بن جحش ، وأخيه أبي أحمد بن جحش ، على مبشر بن عبدالمنذر بن زنبر بقباء ، في بني عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرسالا ، وكان بنو غنم بن دوادن أهل إسلام ، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساؤهم : عبدالله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وعُكَّاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ، ابنا وهب ، وأربد بن حُمَيِّرة .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُمَيْرَة .

▲

هجرة بعض الرجال ونسائهم

قال ابن إسحاق : ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، ويزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيعة

بن أكثم ، والزبير بن عبيد ، وتمام بن عبيدة ، وســـخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبدالله بن جحش .

هجرة نسائهم

ومن نســـائهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصـــن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم ، وحمنة بنت جحش .

▲

شعر أبي أحمد بن جحش في هجرة بني أسد

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بني أســـد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رســوله صــلى الله عليه وســلم ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد * ومروتها بالله برت يمينها

لنحن الأُلى كنا بها ثم لم نزل * بمكة حتى عاد غثا سمينها

بها خيمت غنم بن دودان وابتنت * وما إن غدت غنم وخفّ قطينها

إلى الله تغدو بين مثنى وواحد * ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا :

لما رأتني أم أحمد غاديا بذمة * من أخشى بغيب وأرهبُ

تقول : فإما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب

فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا * وما يشإ الرحمن فالعبد يركب

إلى الله وجهي والرسول ومن يُقم * إلى الله يوما وجهه لا يخُيَّب

فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب

ترى أن وترا نأينا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب تطلب

دعوت بني غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب

أجابوا بحمد لله لما دعاهم * إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا

وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

كَفوجَيْن : أما منهما فموفَّق * على الحق مهدي ، وفوج معذب

طغوا وتمنوا كذبة وأزلهَّم * عن الحق إبليس فخابوا وخُيِّبوا

ورِعْنا إلى قول النبي محمد * فطاب ولاة الحق منا وطُيبوا

نَمُتُّ بأرحام إليهم قريبة * ولا قرب بالأرحام إذ لا نُقرَّب

فأي ابن أخت بعدنا يأمنَّنكم * وأية صهر بعد صهريَ تُرقبُ

ستعلم يوما أينا إذ تزايلوا * وزُيِّل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن هشـــام : قوله : (ولتنأ يثرب) ، وقوله : (إذ لا نقرب) ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشـــام : يريد بقوله : (إذ) إذا ، كقول الله عز وجل :) إذ الظالمون موقوفون عند ربهم (. قال أبو النجم العجلي :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى * جنات عدن في العلاليّ والعُلا

▲

هجرة عمر وقصة عياش وهشام معه

قال ابن إسـحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر ، عن عبدالله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتعدت ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة ، وهشـــام بن

العاصـــي بن وائل الســـهمي التَّناضِـــبَ من أضـــاة بني غفار ، فوق سَــرِف ، وقلنا : أينا لم يصـــبح عندها فقد حُبس فليمض صـــاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن .

▲

أبو جهل و الحارث يغرران بعياش بن أبي ربيعة

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشـام والحارث بن هشـام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورســـول الله صلى عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها ، فقلت لـه : يا عيـاش ، إنـه والله إن يريـدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشـــطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت ، قال : فقال : أبر قسم أمي ، و لي هنالك مال فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصـــف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى علي إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب ، فانج عليها .

فخرج عليه معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، والله لقد اســـتغلظت بعيري هذا ، أفلا تُعْقبني على

ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استـــتووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسـحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

▲

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قال ابن إســـحاق : وحدثني نافع ، عن عبدالله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صــــرفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصـــابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفســـهم :) قل يا عبادي الذين أســـرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصـــرون . واتبعوا أحســـن ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (.

قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدي في صـــحيفة ، وبعثت بها إلى هشـــام بن العاصـــي ، قال : فقال هشـــام بن العاصـــي : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى ، أُصـعِّد بها فيه وأصـوب ولا أفهمها ، حتى

قلت : اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى في قلبي إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيري ، فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة .

▲

خروج الوليد بن الوليد إلى مكة في أمر عياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثني من أثق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لي بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقي امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين – تعنيهما – فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ؛ فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : (ذو المروة) لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت أصبعه ، فقال :

هل أنت إلا أصبع دميتِ * وفي سبيل الله ما لقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

▲

منازل المهاجرين بالمدينة

منزل عمر وأخيه ، وعمرو وعبدالله ابني سراقة ، وخنيس بن حذافة ، وبني البكير

قال ابن اسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ؛ وعمرو وعبدالله ابنا سراقة ابن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي – وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده – وسعيد بن زيد عمرو بن نفيل ؛ وواقد بن عبدالله التميمي ، حليف لهم ؛ وخولي بن أبي خولي ؛ ومالك بن أبي خولي ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولي : من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البكير أربعتهم : إياس بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وعامر بن البكير ، وخالد بن البكير ، وحلفاؤهم من بني سعد ابن ليث ، على رفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر ، في بني عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

▲

منزل طلحة وصهيب

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن سنان ، على خبيب بن إساف ، أخي بلحارث بن الخزرج بالسُّنْح

. ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة ، أخي بني النجار .

قال ابن هشـام : وذُكر لي عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن صـهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفســك ، والله لا يكون ذلك ؛ فقال لهم صــهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سـبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني جعلت لكم مالي . قال : فبلغ ذلك رســول الله صـــلى الله عليه وســلم ، فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

▲

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبدالمطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنَّاز بن حصن .

–قال ابن هشـــام : ويقال : ابن حصــين – وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة بن عبدالمطلب ، وأنسـة ، وأبو كبشـة ، موليا رسـول الله صـــلى الله عليه وســلم ، على كلثوم بن هدم ، أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، ويقال : بل نزلوا على ســعد بن خيثمة ؛ ويقال : بل نزل حمزة بن عبدالمطلب على أســعد بن زرارة ، أخي بني النجار . كل ذلك يقال .

▲

منزل عبيدة وأخيه الطفيل والحصين وغيرهم

ونزل عبيدة بن الحـارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحـارث ، والحصـــين بن الحارث ، ومســـطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، أخو بني عبدالدار ، وطليب بن عمير ، أخو بني عبد بن قصـــي ، وخباب ، مولى عتبة بن غزوان ، على عبدالله بن سلمة ، أخي بَلْعجلان بقباء .

منزل عبدالرحمن بن عوف

ونزل عبدالرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على ســـعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج ، في دار بلحارث بن الخزرج .

منزل الزبير وأبي سبرة

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو ســبرة بن أبي رهم بن عبدالعزى ، على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصـــبة ، دار بني ججحبى .

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D8%A8%D9%86%20%D9%87%D8%B4%D8%A7%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%D8%A8%D9%80%20%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9%C2%BB%20**/i109&n29&p1

تالي المجلد الثالث

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D8%A8%D9%86%20%D

9%87%D8%B4%D8%A7%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%D8%A8%D9%80%20%C2%AB%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9%C2%BB%20**/i109&n30&p1